جمهورية العراق

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة كربلاء

كلية العلوم الإسلاميـــــة

قسم اللغة العربية/ لغة القرآن وآدابها

الذاكرة في القرآن الكريم دراسة تحليلية

رسالة مُقدّمة إلى مجلس كلية العلوم الإسلامية / جامعة كربلاء

وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في اللغة العربية/ لغة القرآن وآدابها

كُتبت من قبل:

حنين فليح جريح مجيد

بإشراف

أ.د. مسلم مالك الأسدي

نيسان- ٢٠٢٤م **شوال-١٤٤٥هـ**

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قلْ إنَّ رَبّي يَبْسط الرّزْقَ لِمَنْ يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِر لَه وَمَا أَنْفَقْتمْ مِنْ شَيْءٍفَهوَ يخْلِفه وَهوَ خَيْر الرَّازِقِينَ﴾

صدق الله العلي العظيم

المائدة : ٥٥-٥٦.

ترشيح الرسالة للطبع

نظراً لإنجاز رسالة الماجستير (فصولها ومباحثها) الموسومة بـ **(الذاكرة في القرآن الكريم دراسة تحليلية)** لطالبة الماجستير (**حنين فليح جريح مجيد**) فأني أُرشحها للطبع .

التوقيع:

المشرف : د. سالم مالك الأسدي

مكان العمل: جامعة تكريت / كلية العلوم الإسلامية

التاريخ: ١٢/٧/٢٠٢٠

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إقرار المشرف

أشهد أنَّ رسالة الماجستير الموسومة بـ (**الذاكرة في القرآن الكريم دراسة تحليلية**) التي قُدمتْ من قبل الطالبة (**حنين فليح جريح مجيد**) وقد تم إعدادها بإشرافي في جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية وهي من متطلبات نيل شهادة الماجستير؛ في لغة القرآن وآدابها.

التوقيع:

المرتبة العلمية : استاذ دكتور

الإسم: سلم مالك رشيد

مكان العمل: جامعة كربلاء - العلوم الإسلامية

التاريخ:

بناءً على التوصيات المتوافرة أرشح هذه الرسالة للمناقشة.

التوقيع :

الاسم: أ.م.د. جميل مطاعن

التاريخ: ٢٤/ ١١ /٢٠٢٤

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إقرار لجنة المناقشة

نشهد نحن رئيس لجنة المناقشة وأعضاؤها أنّنا اطلعنا على هذه رسالة الماجستير الموسومة بـ (**الذاكرة في القرآن الكريم دراسة تحليلية**) وناقشنا الطالب/ـة (**حنين فليح جريح مجيد**) في محتواها وفيما له علاقة بها ونعتقد أنّها جديرة بالقبول بتقدير(جيد جداً) لنيل شهادة الماجستير ؛ في لغة القرآن وآدابها.

الاستاذ المتمرس الدكتور عبود جودي عبود الحلي
جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية
رئيساً

أ.د. علي هاشم طلاب
جامعة المثنى / كلية التربية للعلوم الإنسانية
عضواً

أ.د. مسلم مالك بعير الاسدي
جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية
عضواً ومشرفاً

أ.م.د. احمد راهي سعدون
جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية
عضواً

صُدِّقتْ في جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية

التوقيع:

الاسم: **أ.د. محمد حسين عبود الطائي**
العميد

التاريخ: 2025/7/29

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الإهـــــــداء

ذلك المعلم الذي خطَّ للإنسانيةِ درسًا بلا كفين

وأرشدهم إلى الصوابِ بعينٍ واحدةٍ، وقدَّم الأخرى مع يديهِ قُربانًا للإخوة

أُهديه هذا الجهد لأنَّهُ أهداني حبَّهُ وولايتهُ، وتوفيقُ الله لي بفضلِ زيارتهِ ورعايتهِ

إلى سيدي ومولاي أبي الفضل العباس (عليه السلام)

الباحثة

حنين فليح جريح

الشكر والعرفان

{ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ }

شكر وعرفان

بسم الله الرحمن الرحيم.

الحمدُ لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء وأكرم الأصفياء والمرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين ومن أهتدى بهديهم إلى يوم الدين .

لنبدأ بقول المولى عز وجل :{ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ } فالحمد والشكر لله الذي فضّل الإنسان على سائر مخلوقاته بعقلٍ يبحث به عن الحقائق ويستطلع به عن كشف الخبايا ومكننا من إنجاز هذه الرسالة .

أتقدم بالشكر الجزيل للأساتذة الأكارم في قسم اللغة العربية، وعمادة كلية العلوم الإسلامية لجهودهم المبذولة في إنجاح هذه المرحلة المهمة والمفصلية في المسيرة الدراسية.

إلى عائلتي الكريمة، أُمي التي ساندتني بدعائها، أختي الغالية، أخوتي الذين وقفوا خلفي كبنيان مرصوص شكراً لكم بحجم محبتكم الصادقة .

والشكر الخاص للأستاذ الفاضل الأعز الدكتور صفاء لطيف المسعودي، ورئيس قسمنا المفضال الأستاذ الدكتور : أمجد الفاضل، والأستاذ الموقر محمد علي فاضل الفراتي .

الزملاء الأفاضل في مرحلة الماجستير، الصديقات الغاليات (سماح ،رسل، وآيات علي)شريكات الرحلة، ، شكراً دائما كبيراً مستمراً لوقفتكم ودعائكم ومساندتكم .

الخلاصة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، منزل الكتاب هدىً وتذكرة لأولي الألباب، والصلاة والسلام على نبينا محمد الذي خصه الله تعالى بجوامع الكلم وفصلَ الخطاب، وعلى آله وسلم وبعد:

تعد الذاكرة تاريخاً حياً يسكن في دهاليز النفس البشرية فتمدّه بالخيرات التي تسهل له السبيل في الأرتقاء بحاضره ومستقبله القادم، والإنسان مخلوق في طبيعته يكون تواقاً لماضيه يعيد فيه ما سجل على صحيفة حاضره وسنحاول دراسة كل ذلك بالبحث الموسوم (الذاكرة في القرآن الكريم دراسة تحليلية).

وتبعاً لمقتضيات الموضوع فقد ضمَّ تمهيداً، وثلاثة فصول، أهتم التمهيد: بكشف مكونات العنوان .

ورسم الفصل الأول: لدراسة أنواع الذاكرة، وجاء في الفصل الثاني: في الأساليب التركيبية وبيان تمازجها مع الذاكرة لتحقيق الغاية المتوخاة من مجيئها، أما الفصل الثالث: فجاء مهتماً بدراسة الأساليب البيانية ومحاولة بيان المعاني ومعنى المعنى الذي حققته هذه العناصر.

ثم خاتمة فيها أهم النتائج التي تحصلنا عليها في ثنايا البحث ،وبعدها قائمة بالمصادر والمراجع التي استعملت في البحث .

العنـــوان	الصفحة
المقدّمة	٢-٣
التمهيد: كشف مفهومي بمفردات العنوان	٥-١٤
الفصل الأول : الذاكرة الحسية	١٦-٥٠
توطئة	١٦ – ١٧
المبحث الأول: الذاكرة البصرية	١٨-٢٥
المبحث الثاني الذاكرة السمعية	٢٦-٣٤
المبحث الثالث : الذاكرة اللمسية	٣٥-٤٠
المبحث الرابع : الذاكرة الذوقية	٤١-٤٧
المبحث الخامس : الذاكرة الشمية	٤٧-٥٠
الفصل الثاني : الأساليب التركيبية وأثرها في تحقيق الذاكرة	٥٢-٩٧
توطئة	٥٢
المبحث الأول : الاستفهام	٥٣-٦٢
المبحث الثاني : الشرط	٦٣-٧٠
المبحث الثالث : الحذف	٧١-٧٨

المبحث الرابع : النهي	٧٩-٨٦
المبحث الخامس: النداء	٨٧-٩١
المبحث السادس : النفي	٩٢-٩٧
الفصل الثالث : الأساليب البيانية واثرها في تحقيق الذاكرة	٩٩-١٣٣
توطئة	٩٩
المبحث الأول : التشبيه	١٠٠-١٠٨
المبحث الثاني : الأستعارة	١٠٩-١١٦
المبحث الثالث : الكناية	١١٧-١٢٤
المبحث الرابع : المجاز	١٢٥-١٣٣
الخاتمة ونتائج البحث	١٣٥-١٣٧
المصادر والمراجع	١٣٩-١٥٣
Abstract	A-B

المُقَدّمة

المُقَدّمة :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف خلقه أجمعين، نبينا الأكرم، هادي الأمة، وناشر إسلامها في تخوم الأرض محمد وآله الطيبين الطاهرين.

وبعد...

تعد الذاكرة تاريخاً حياً يسكن في أروقة النفس البشرية فتمدّها بالخيرات التي تسهل لها السبيل في الأرتقاء بحاضرها ومستقبلها القادم، والإنسان تواق في طبيعته لماضيه فيعيد فيه ما سجل على صحيفة حاضره، وعند تتبع هذا المفهوم في بحار النص القرآني نراه يتوشح بذواكر متعددة ترتشق في معظم أجزائه من سنن وأحكام وقصص وغيرها ؛ ممّا توارد في ذلك النص، وكلّها كانت ذواكر جهدها العبرة والعظة ونشر الفضيلة والابتعاد عن رذائل الأمور .

تتّبع الدراسة مواضع ورود الذاكرة في النص القرآني بالرسالة (الذاكرة في القرآن الكريم دراسة تحليلية)،و فيها تتبع أنواع الذاكرة في هذا النص الكريم ومعرفة أنواعها، فضلاً عن بيان ما تمازج منها مع العناصر المكونة لتلك اللغة الحية التي حل فيها كتاب الله الكريم فجعلها تنطق اعجازاً وجمالاً واقناعاً.

وتبعاً لمقتضيات الموضوع فقد ضم تمهيداً وثلاثة فصول أهتم التمهيد بكشف مكونات العنوان فدرس الذاكرة لغة واصلاحاً.

ورسم الفصل الاول لدراسة أنواع الذاكرة وكان على مباحث أهتم الاول بالذاكرة الحسية وأثرها ودورها في نظام التذكر عند الإنسان، وكان المبحث الثاني مبحراً في الذاكرة السمعية وبيان أثرها في النص القرآني .

وجاء المبحث الثالث مرتكزاً في دراسة الذاكرة اللمسية ومحفزاتها وأثرها في النص وما تحققه هذه الذاكرة التي تعتمد في مظانها على الكف .

وارتسم المبحث الرابع في صورة الذاكرة الذوقية واظهار أثر حاسة اللسان في تميز خواص الأجسام الطعمية واتصالها بالجهاز الحي لدى الإنسان، مع ذكر الهبات الغذائية التي أردفها ربّ العباد لعبادة ولكائناته للعيش في نعيمه .

وفي المبحث الخامس تمت دراسة الحاسة الشمية وبيان مدتها المعاني الثواني وأثرها في النص مع بيان سبب ارتباطها في الأغلب بالنعم الربانية .

وجاء الفصل الثاني في الأساليب التركيبية وبيان تمازجها مع الذاكرة لتحقيق الغاية المتوخاة من مجيئها ،فكان الاستفهام، والشرط، والحذف، والنهي والنداء هي العناصر المدروسة حسب ورودها في النص القرآني

أما الفصل الثالث فجاء مهتماً بدراسة الأساليب البيانية ومحاولة بيان المعاني ومعنى المعنى الذي حققته هذه العناصر .

فكان التشبيه أولها فهو رأس الفصل، ومن ثم الاستعارة وانمزاجها بالعقل والذاكرة بأبهى صورة، وبعدها المجاز، ومن ثم الكناية وفورتها الاجتماعية ودورها في اتّساع الأفق الدلالي للنصوص المدروسة، ثمّ خاتمة فيها أهم النتائج التي تحصلّ عليها في اثناء البحث ثمّ قائمة بالمصادر والمراجع التي استعملت في البحث .

وفي الختام أقدّم شكري لأستاذي الفاضل الدكتور مسلم مالك الأسدي على ما بذله من جهد مضن، تابع فيه هذه الرسالة منذ كانت فكرة إلى أن أصبحت واقعاً واستوت على ماهي عليه الآن، ولم يدخر جهداً في تقديم المساعدة فأعانني بملاحظاته القيمة وآرائه السديدة التي توسم بالعطايا فكان الأثر له في إنجاز الدراسة في صورتها هذه، فجزاه الله عني خير الجزاء.

التمهيد

التمهيد :كشف مفهومي بمفردات العنوان .

نحاول في هذا الموضع تتبع المفهوم النظري للمفردات المكونة لهذه الرسالة فنبدأ بمكونات الرسالة وحدودها وكما يلي :

المطلب الأول: الذاكرة : حدّها .

الذاكرة لغة:

لا توجد كلمة (ذاكرة) على نحو الصيغة المباشرة في المعاجم العربية القديمة بل وردت اشتقاقاتها ومنها الفعل الثلاثي ذَكَرَ؛ فقد اورد الخليل في معجمه :((الذَكر الحفظ لشيء تذكره، وهو مني على ذكر. والذَكر: جري الشيء على لسانك، نقول جرى منه ذِكر)[١] وقد ذكر ابن فارس في المقاييس :(ذَكَرتُ الشيء، خلاف نسيته، ثم حمل عليه الذكر باللسان)[٢] وقال الجوهري أيضاً :(وذكرتُ الشيء بعد النسيان، وذكرتهُ بلساني وقلبي، وتذكرتهُ واذكرتهُ غيري وذكرته)[٣]. ويقول الازهري في معجمه تهذيب اللغة :(ما زال مني على ذكْر وذُكْر. وقال الفراء :الذكر ما ذكرته بلسانك واظهرته، وقال الليث :الذكر الحفظ للشيء تذكره، والذكْر: جرى الشيء على لسانك)[٤] إذن فالذكر لدى اللغويين يأتي بمعنى الحفظ اللساني والقلبي واظهار هذا المحفوظ واستذكاره، وهي القدرة على حفظ المواقف التي تستوجب ذلك، إي أن الصيغة التي مبعثها الذكر هي دلالة ناشئة لحادثة معينة خلدتها الزمنية التي حدثت فيها، وتموجت في ذاكرة الفرد، واحتفظ بها .

---

(١) – معجم العين ، مادة (ذكر) ، ٣/ ٢٣٤.

(٢) – معجم مقاييس اللغة، مادة (ذكر) :٥/٢٤٤.

(٣) – تاج اللغة وصحاح العربية ، مادة (ذكر) ، ١٠/ ٣٣٤.

(٤) – تهذيب اللغة ، مادة (ذكر) ٢/ ٤٥٦.

والذاكرة بالوقت الحاضر هي عضو عقلي يساعد الإنسان على خزن المعلومات والتجارب وإعادة صياغتها وطرحها في المواقف التي تستوجب ذلك، وقد وردت العديد من الأمثلة في القرآن الكريم تدل على كلمة (ذاكرة) أو كلمة (ذاكر) وذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا** ﴾ (الأحزاب٣٥) وكذلك ورد في قوله تعالى:﴿ **فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ**﴾ (البقرة ١٥٢) .

فالذاكرة هي قوة عقلية تساعد الإنسان على استحضار المعلومات وحفظها وهي أيضاً تساعدْ على مواجهة النسيان، وترفده بالمعلومات والتجارب الماضية.

والذاكرة تختلف من شخص إلى آخر وتتفاوت بين البشر فقد تكون هناك ذاكرة عجيبة لدى بعض الأشخاص، لكن يملك بعضهم الأخر ذاكرة ضعيفة ويعود ذلك الاختلاف من شخص لأخر بسب العمر والصحة ومدى الفترة الزمانية التي تمر عليها وغيرها من الأسباب الأخرى.

الذاكرة إصطلاحا:

الذاكرة : ((الدراسة العلمية لعمليات استقبال المعلومات وترميزها واستعادتها وقت الحاجة))[١]

كما ورد تعريف الذاكرة في الموسوعة الفلسفية على أنها: ((حفظ الذات لنتائج تفاعلها مع العالم الخارجي مما يمكنها من ترديد واستخدام هذه النتائج في نشاط لاحق، وتصنيفه وربطه في أنساق، وهي الكل الاجمالي للنماذج الذهنية للواقع الذي تشيده ذات معينة ، ويشمل تشكيل وتحديد وتسكين الروابط العصبية المؤقتة الألية الفسيولوجية لذاكرة الإنسان، وترتبط الذاكرة بالتفكير وأشكال النشاط الناشئة كنتاج لها تتم بعملية

(١) – علم النفس المعرفي النظرية والتطبيق:١٢٩.

التفكير نفسها))[١]، فأن وظيفة الذاكرة هي تخزين المعلومات وما مر به الفرد من تجارب وما اكتسبه من خبرات متراكمة في ذهنه تمكنه من الاستفادة من هذه الخبرات في المواقف المشابهة التي قد يتعرض إليها، فيكون محصناً من الخطأ بعض الشيء ويكون قادراً على في الصعاب إذا ما كانت لديه تجربة تسبق الأمر وانتهت إلى نتيجة ما .

ويتضح من ذلك أن الذاكرة حظيت بكثير من الاهتمام والدراسة لما لها من أهمية وأكثر، وهذا يعني أن هناك مفاهيم متعددة للمرجعيات المتبادلة لهذا المجال، ومن ثمّ يكتسب مفهوم الذاكرة صياغة مختلفة تبعاً للأسس النظرية التي تعتمدها تلك المراجع، وإذا أردنا معرفة الأصل والجذر التي ينحدر منه مصطلح الذاكرة، فهو أصل نفسي وفلسفي يعود بدلالات ثقافية واجتماعية تختص بالتكوين العقلي للإنسان، الذي يتمثل في ذاكرته وما تخزنه من صور ومعلومات، والتي يلجأ إليها من أجل استعادة شيء ما شعوريا أو لا، وقد انبثقت الذاكرة من هذه الحقول والدراسات كونها مسؤولة عن فهم شخصية الإنسان وأنشطته وتحديد هويته، ونستنج ما سبق أنّ الذاكرة تمثل أرشيفاً هائلاً يشمل على المعارف الرمزية والمنطقية والحركية والانفعالية كافة، الناتجة عن العمليات العقلية المعرفية وغير المعرفية.

ويرى الدكتور جمال شحيد أن الإنسان يتذكر مرحلة الشباب بدقة، نظراً لأهمية هذه المرحلة من حياته فهي تحتوي على أهم الأحداث في بناء شخصيته وهويته وكيانه ومستقبله على عكس فعالية الذاكرة في السنوات الأولى من حياته مثلاً من سنة إلى أربع سنوات، ففي هذه المرحلة التي تمثل مرحلة الطفولة من حياة الإنسان تبدو الذاكرة غير متطورة، وغير واعية تماماً ومشوهة، وغالباً ما تكون ممزوجة بالخيال، ومن ثمّ فإن الذاكرة في هذه المرحلة تكون غير دقيقة وتخلط الواقع بالخيال، وهذا يؤثر على

([١]) – الموسوعة الفلسفية: ٢٢٠.

مصداقيتها حتى أنه يمدد هذه المدة إلى العشر سنوات، ويرى إن الإنسان في عمر الخمسينات مثلا يتذكر أحداث حياته من ١٠ إلى ٣٠[١].

إذن فالذاكرة تلعب دوراً مهماً في حياة الإنسان فهي تحتفظ بذكرياته الماضية وتستعيدها وتكون جزء مهماً من شخصيته كما تحتفظ بالخبرات التي اكتسبها من تجاربه، وتبرز شخصيته المثقفة والواعية المشحونة بالخبرات والمعارف وهذه الأهمية تنبع من خطورة التأثير التي تمارسه الذاكرة لأنها تشكل وعي الإنسان بماضيه وحاضره.

قد تكون شخصية الإنسان متدهورة إن كان بدون ذاكرة أو خبرة ثقافية يستمد منها شخصيته وذاته، فالذاكرة ((الخبرات والتجارب والتراث الذي نطلق عليه اسم ثقافة))[٢] فمن غير الذاكرة التي تمد الفرد بالمعلومات والتجارب السابقة لا يستطيع أن يطور الهوية الشخصية واللغة والعلاقات الإنسانية بالأشخاص، فبفضلها يستطيع الإنسان مواصلة الارتقاء الذاتي والثقافي فالذاكرة هي التي تخبر صاحبها عن موقعه في العالم الخارجي الذي يعيش فيه، وعن طريقها يعرف الناس ويتعايش معهم كل حسب معطيات ذاكرته عن علاقته بهم[٣]

إنّ الذاكرة ترتبط بحقل الدراسات الاجتماعية والنفسية والفلسفية لما لها من أهمية كبيرة في فهم الشخصية الإنسانية ووظائفها[٤]، والذاكرة هي جزء من تاريخ حي يسكن داخل النفس البشرية في مشاهد وتجارب مهمة ويبقى نشطاً من التذكر المستمر[٥]، ولاسيما الجانب العاطفي، وللعامل الوجداني الذين لهما أثر في تثبيت بعض الذكريات

---

(١) – ينظر: الذاكرة في الرواية العربية المعاصرة: ٣٤.

(٢) – ينظر: اشكالية القراءة واليات التأويل: ٢٥٥.

(٣) – علم النفس العام:٢٧٧.

(٤) – ينظر: تنصيص الذاكرة:٥.

(٥) – ينظر: من تجليات الذاكرة دراسات في نصوص عراقية:٥.

أو منع ترسيخها اعتماداً على علاقة الأحداث بالميول الأكثر ثباتاً والأقل عرضة للنسيان من تلك التي تتعارض معها، غير أنّ هناك بعض المشاهد المؤلمة التي تترك أثرا بليغاً في الذاكرة ولا يستطيع الفرد محوها أو نسيانها[١]، وتسمى هذه الذاكرة العاطفية فهي تقوم على الاحساس بدل الاستدعاء وتتجسد في موضوع العودة إلى الأماكن الأولى التي عشنا فيها فهي وسيلة للإعادة اكتشاف ذكريات الطفولة فزيارة الأماكن القديمة تولد هذه الذاكرة العاطفية التي تعود الينا وتعيد خلق الشعور الذي نعتقد أنّنا عشناه لحظة انتاجه بوساطة الخيال، في هذه الحالة يعد الحاضر بمؤثراته المتباينة هو المحرك للماضي.

وقد يحدث خلاف ذلك أيضاً فتصبح ذكريات الماضي هي التي توجه الإنسان وتتحكم فيه بشكل غير مباشر؛ لأن ماضي الإنسان وطبيعة تفكيره ومبادئه وطموحاته وغيرها متطورة ومتأثرة بما يتعرض له، لذا يتحكم ماضي الإنسان بقراراته التي تتعلق بحاضره، بل إن طغيان ذكريات الماضي يؤثر على مستقبله سواء كان هذا التأثير ايجابياً ام سلبياً، كأن يأخذ الإنسان العبرة من موقف سابق وعلى اساسه يتصرف في حاضره في موقف مماثل ففي هذه الحالة الماضي هو الذي حركه وسيطر على تفكيره وقراره، ويبرز هنا دور الذاكرة فهي التي تمنح الحياة للماضي لأن الماضي لا وجود له في الواقع لولا تذكره وتكرار مشاعر التأثر به[٢] فهو قائم على أساسها ، يولد ويستمر مادامت هي متوافرة في عقول الناس ومجالسهم ونواديهم المعرفية وسجلاتهم الحياتية التي يستقون منها معارفهم وعاداتهم .

---

(١) – ينظر: مبادئ علم النفس العام: ٢٠٨.

(٢) – ينظر: الهوية والذاكرة الجمعية اعادة انتاج الادب العربي قبل الاسلام أيام العرب أنموذجاً: ٣٩ .

تلعب الذاكرة دوراً كبيراً في حياة الإنسان، ويظهر حضورها واضحاً في مختلف مجالاته، لأن لها دوراً في تشكيل شخصيته، والحفاظ على تجاربه لتسهم في بناء ثقافته، كما أنّها وسيلة تساعده على الاحتفاظ بالمعرفة والنجاح في مجالات حياته العلمية والعملية، وهذه الاهمية الكبيرة التي تحتلها الذاكرة في شخصية الإنسان وحياته تؤكد خطورة تأثيرها وضرورة الحذر في التعامل معها؛ لأنّها تمثل (جانباً أصيلا من جوانب شخصيته، أنها لا تعني مجرد ذكريات الماضي بجانبيها الحلو والمر، بل تعني في الأساس جميع الخبرات والتجارب التي تشكل وعي الإنسان وتحدد قدرته على التعامل مع الحاضر الراهن، بل تمثل شروط التعامل مع هذا الحاضر، تلك الشروط التي تعد أساس أية معرفة، وحين يفقد الإنسان ذاكرته، فأنّه يفقد ذاته؛ لأنّه يفقد الشروط الموضوعية التي تجعله يعيش الحاضر ويتعامل معه)[١]

يتضح من كل ما سبق المفهوم العام للذاكرة وأهميتها، فهي مسؤولة عن حفظ المعلومات والتجارب والخبرات والأحداث الماضية واسترجاعها عند الحاجة اليها، ولها تأثير كبير على حياة الإنسان يتعدى كونها مجرد مستودع لذكريات الماضي، بل تلعب دوراً رئيسي في حاضر الإنسان حتى يصل تأثيرها إلى مستقبله، فمن دون نعمة الذاكرة يفقد الإنسان هويته وتجاربه في الحياة، ولا يتمكن من التطور ومواصلة التقدم، ونظرا لهذه المكانة التي احتلتها الذاكرة في حياة الإنسان فمن الطبيعي أن تترك الذاكرة بصمتها الواضحة في القرآن الكريم.

ثانيا : أنواع الذاكرة

اقترح علماء النفس والتربويون تصنيفات عديدة للذاكرة وفق معايير عدة أهمها معيار الزمن، وقد اطلقوا تسميات على تصنيفات الذاكرة، أهمها الذاكرة قصيرة المدى والذاكرة طويلة المدى والذاكرة الحسية وغيرها وسيتم تصنيف أنواع الذاكرة كل على حدة، وتعد

([١]) – اشكالية القراءة واليات التأويل: ٢٥٤.

هذه الأنظمة الثلاثة بمثابة وظائف اساسية (تعمل بناء على مبادئ مختلفة للتذكر، وإن كانت هذه المبادئ مرتبطة بعضها ببعض)[١].

١-الذاكرة طويلة المدى :

تعرف بأنها :(عبارة عن خزان يضم كما هائلا من المعلومات من المعلومات والخبرات التي اكتسبها الفرد عبر مراحل حياته المختلفة. ففيها ما يتعلق بالمعارف، والحقائق، والمشاعر، والصور، والأصوات، والاتجاهات، والقصص، والأحداث، والتواريخ، والاسماء، وغيرها. وهي ذات سعة غير محددة بكم معين من المعلومات، حيث لا يعقل أن يصل الفرد إلى مرحلة ما في حياته تصبح الذاكرة الطويلة ممتلئة ولا تستطيع استقبال المزيد والذاكرة الطويلة غير محددة بزمن معين في التخزين حيث تبقى المعلومات مخزنة مادام الإنسان على قيد الحياة)[٢] ، وأهم وظائفها (تنظيم المعلومات خلال عملية تخزينها في الذاكرة، والقيام بعملية البحث عن المعلومات المطلوب استرجاعها بعد ذلك حسب ما يقتضيه الموقف الذي يكون فيه)[٣].

تعد الذاكرة طويلة المدى أهم نظام في نظم الذاكرة الثلاث، كما إنها تعد أشد هذه النظم تعقيدا. إذ أن امكانية نظام تخزين المعلومات الحسي، ونظام الذاكرة قصيرة المدى محدودة للغاية، فكل المعلومات التي تبقى في الذاكرة إلى اكثر من دقائق معدودة تدخل في نظام الذاكرة طويلة المدى. ويشمل ذلك كل الخبرات المتعلمة بما فيها قواعد اللغة التي يمارسها الفرد مما يجعل عملية تكوين وتناول المعلومات على جانب كبير من الأهمية في تفسير كيفية اتصال الفرد بالعالم المحيط به والتعامل معه، إذ يتم في بعض

---

(١) – التعلم : ١٦٧.

(٢) – علم النفس المعرفي النظرية والتطبيق:١٤٣.

(٣) – علم النفس المعرفي المعاصر:١٦٨.

مراحل هذه العملية تعلم الفرد لكثير من المعلومات، والإحتفاظ بها في الذاكرة ثم استرجاعها في الوقت المناسب[١].

2- **الذاكرة قصيرة المدى**

(يطلق على المكون الذي يحتفظ فيه بالمعلومات لفترة قصيرة جدا اسم :الذاكرة قصيرة المدى وقد اطلق عليها اسماء عدة مثل الذاكرة الاساسية، والذاكرة الابتدائية، والذاكرة الفورية، والمخزن قصير المدى والذاكرة العاملة. وذهب جيمس إلى اعتبار أن هذا المكون الذاكري شعوري. وقد تبين فيما بعد أن بعض العمليات التي تتم في الذاكرة قصيرة المدى آلية وليست شعورية))[٢].

تعد الذاكرة قصيرة المدى جهازا يسمح بالقيام بنشاطات معينة ويسهم في الاحتفاظ بمعلومات متوفرة للاستعمال اللفظي أو تدخل في الحساب الذهني، وفهم اللغة بوساطة استعمال ميكانزمات تحليل الرموز، والترميز اللساني، وتعالج الذاكرة قصيرة المدى المعلومات التي يشتغل عليها الفرد وبذلك فهي تقتصر على النشاطات المعرفية الجارية ما دامت سعتها محدودة[٣]. وعليه يمكن اعتبار الذاكرة قصيرة المدى مخزناً مؤقتاً للمعلومات مستغرقة مدة زمنية بطيئة لعدة ثوان وتندرج تحتها الذاكرة الحسية.

3- **الذاكرة الحسية**

تمثل الذاكرة الحسية المستقبل الاول للمدخلات الحسية من العالم الخارجي. فعن طريقها ((يتم استقبال مقدار كبير من المعلومات عن خصائص المثيرات التي تتفاعل معها وذلك عبر المستقبلات الحسية المختلفة (البصرية، السمعية، واللمسية، والشمية، و

---

(١) – علم النفس المعرفي: ١٩٠.

(٢) – م.ن: ١٣٥.

(٣) – ينظر: فعالية برنامج تدريبي قائم على الذاكرة العاملة في تنمية مهارات الاداء والفهم القرائي لدى تلاميذ ذوي صعوبات تعلم القراءة:٤٤ .

الذوقية) فهي تتألف من مجموعة من المستقبلات يختص كل منها بنوع معين من المعلومات، فالمستقبل الحسي البصري مسؤول عن استقبال الخبرة البصرية التي غالبا ما تكون على شكل خيال الشيء، في حين المستقبل الحسي السمعي يعني باستقبال الخبرة السمعية على شكل صدى، تلعب هذه الذاكرة دورا هاما في نقل صورة العالم الخارجي على نحو دقيق، اذ ما يتم تخزينه فيها هو الانطباعات أو الصور الحقيقة للمثيرات الخارجية فهي تمثيل حقيقي للواقع الخارجي دون أي تشويه أو تغير فيه))[١].

إذ إن الذاكرة الحسية أو الفورية تستلم كميات هائلة من المعلومات في برهة من الزمن، إلا إن الكثير من هذه المعلومات يتلاشى بصورة سريعة، ولا يتم الاحتفاظ إلا بجزء قليل منها، ويتوقف ذلك على عمليتي الانتباه والادراك فالانتباه يعمل على عملية توجيه وتركيز الحواس أو الحاسة على مثير معين في حين يعمل الإدراك على تحويل الاحساسات إلى تمثيلات عقلية معينة.

الذاكرة النفسية

تتناول السيكولوجية مفهوم الذاكرة في الدراسات التي ركزت عليها من حيث تأثرها بالعوامل البيئية ونظرة الإنسان للحياة وعُرفت السيكولوجية الذاكرة بأنها :((الوظيفة التي يمكن بواسطتها احياء او اعادة الخبرة الماضية مع ادراك الفرد ان الخبرة الحاضرة ماهي إلا احياء للخبرة السابقة))[٢] وعرفها الفرماوي بأنها :((العملية العقلية التي يتم بها تسجيل الإنسان لخبراته))[٣]، وهذه العملية العقلية لا تتم بالقوة بل يتحكم بها الإنسان، واشار إلى ذلك عويضة بأنها ((عملية عقلية راقية تبدو بوضوح في الكتابة الحية ويستدعي فيها الإنسان مختلف الصور التي مرت به في الماضي بملابساتها السابقة،

---

(١) – علم النفس المعرفي: ٥٢ .

(٢) – حقول علم النفس الفيزيولوجي اعلامه –ابحاثه : ١٦٢.

(٣) – نظرية الركائز الاربعة للبناء النفسي فهم سلوك الانسان في ظلال الفرقان: ٢٢٧ .

فكل حادثة في حياتنا لا بد وأن تترك أ ثرا لها في شعورنا أو في لا شعورنا ويضل هذا الأثر قائما تحت طلبي وقتما استدعيه))[١] .

مما تقدم ذكره إن الذاكرة تسجيل حي لما شهدته أيامنا السابقة سطرت في وعي المجتمع أي كان نوع التسجيل ، وأي كانت صوره ونوعه ، فهي تكاد تعصف في انساقة الاجتماعية التي يرسمها لاحقا ، فكل تقدم قد يشهده الانسان ، يستند على معين خصب من ذاكرة قديمة هي البذرة الأولى لهذا الانمياز والتقدم .

(١) – سايكولوجية العقل البشري: ١٢٤ .

الفصل الأول

الذاكرة الحسية في كتاب الله تعالى (نماذج تطبيقية)

- المبحث الأول: الذاكرة البصرية
- المبحث الثاني :الذاكرة السمعية
- المبحث الثالث: الذاكرة اللمسية
- المبحث الرابع: الذاكرة الذوقية
- المبحث الخامس :الذاكرة الشمية

توطئة :

تعد الذاكرة الحسية المرحلة الأولى في نظام التذكر عند الإنسان، إذ عن طريقها يتم تخزين المعلومات الحسية الواردة بوساطة الحواس الخمس، والتي قد تكون بصرية أو سمعية، أو شمية، أو غير ذلك. كما تتميز الذاكرة ببقاء تأثير المنبه أو توقفه سواء كان هذا المنبه بصرياً أم سمعياً أو وارداً من أي حاسة من الحواس. (١)

أن دور الذاكرة الحسية يتركز في استقبال المعلومات الواردة للمخ عن طريق المستقبلات، ثم تمسك بها لجزء من الثانية حتى يصدر القرار بشأنها، ولقد ركزت الأبحاث على التسجيلات السمعية والبصرية بصفة أساسية ((فالتراث يعرض لنوعين من الذاكرة الحسية هما: الذاكرة البصرية، الذاكرة السمعية، فتتعامل الذاكرة البصرية مع المعلومات البصرية التي يمكن رؤيتها والتي تستثير التسجيلات البصرية لها وعن مدة الاحتفاظ بهذه المعلومات قدرتها الأبحاث بثانية واحدة بعد اختفاء المثير، أما الذاكرة السمعية التي تثير التسجيلات السمعية ويمكن الاحتفاظ بها ما يقرب من أربع ثوانٍ بعد اختفاء المثير)).(٢)

وهذا يعني ((أن قيمة الذاكرة الحسية تتمثل في تأمينها تكامل المنبهات واستمراريتها حتى لا تقوم العين بتصوير الأشياء التي تراها بصورةٍ مستمرة، والعينان تثبتان عند كل نقطة من المنبه مدة تقدر بـ (١\٤من الثانية) يتم بعدها القفز لتنتقل إلى نقطة أخرى من المنبه، ولكن الذاكرة الحسية هي التي تعمل على خزن هذه الصورة لمدة كافية حتى تتمكن العين من القفز والتثبيت من مشهد لأخر؛ مما يعطي استمرارية للأشياء وكأنها متصلة)).(٣)

---

(١) – ينظر: عملية التذكر ومهارات تنشيط الذاكرة:١٨.

(٢) اسرار الذاكرة الإنسانية وإمكانات العقل البشري:٦٣.

(٣) – الذاكرة البصرية لدى المعوقين سمعياً والعاديين: ٥١.

يعد" نسير" أول من أشار إلى هذا النمط وسماها الذاكرة التصويرية ليدلل على الانطباعات التي تنقلها هذه الذاكرة إلى المعالجة المعرفية اللاحقة [١] .

فالذاكرة الحسية هي المعين الأول لما يحسه الإنسان ويتلمسه ولا يكون بحاجة إلى اعمال العقل لمعرفة ماهيته ؛ لأن الحواس هي التي ستعمل على بيانه وتحديده ومن ثم وضع السبل المناسبة لمعالجته والانتفاع منه .

(1)- علم النفس المعرفي النظرية والتطبيق: ١٣٥.

المبحث الأول :الذاكرة البصرية

تعد وظيفة الذاكرة الحسية البصرية هي استقبال الصور الحقيقية للمثيرات الخارجية كما هي في الواقع، وتحتفظ بها على شكل خيال يعرف باسم ايقونة لذلك يطلق عليها أيضاً اسم الذاكرة الأيقونية. ويتم الاحتفاظ بالمعلومات في هذه الذاكرة دون إجراء أي معالجة عليها، خاصة تلك التي يتم الاهتمام بها حتى تتم معالجتها في الذاكرة قصيرة المدى، الا أنه توجد أدلة تشير إلى أن هناك بعض التحليل يتم عن طريق المعلومات الموجودة في هذه الذاكرة، ويعتقد بعض الباحثين أن ما يتم تشفيره هو معلومات سطحية عن طريق خصائص المثيرات الفيزيائية كاللون مثلاً، بينما لا يتم فيها استخلاص أي معنى للمثيرات، كما أجريت العديد من الدراسات على الذاكرة الحسية البصرية وأظهرت نتائج معظمها أن الكثير من المدخلات الحسية البصرية تتلاشى بسرعة بعد التعرض المباشر للمحفز؛ وأن التأثير الحسي البصري يبقى في الذاكرة لجزء من الثانية يتم عن طريقها استخراج بعض المعلومات عن المدخلات الحسية واختيار بعض جوانبها والتركيز عليها، وتتم هذه العملية العقلية لاحقاً دون وعي وتستمر هذه العمليات طالما كان هناك تركيز على المدخلات الحسية. (١)

وقد وردت الذاكرة البصرية في العديد من الآيات القرآنية ومثال ذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿ **إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ** ﴾ (يوسف: ٤) نرى في هذه الآية وجوداً واضحاً للذاكرة البصرية وقد جاء في القرآن الكريم على لسان يوسف (عليه السلام)إني (رأيت) و(رأيتهم) وهي أحد المفردات المستعملة في الذاكرة البصرية فقد يوضح القرآن المرتبة العظيمة التي وصل إليها وأنه ستنتقل به الأحوال إلى حال يخضعون له ويسجدون له أكراماً وإعظاماً وأن ذلك لا يكون إلا بأسباب تتقدمه من اجتباء الله له واصطفائه له وإتمام نعمته عليه

(١) – ينظر: علم النفس المعرفي:١٧.

بالعلم والعمل والتمكين في الأرض وإن هذه النعمة ستشمل الذين سجدوا له وصاروا تبعاً له فيها. (١)

وتوجد في هذه الآية العديد من الدلالات السيمائية الدالة على بشائر النبوة إذ تعد العلامة السيميائية وحدة رئيسية في تطوير الحدث السردي وفي ربط المتلقي بأهداف الخطاب إذ تتميز القصة بالحيوية والديناميكية والإيماء وأهم حقل من الوحدات السيميائية الدالة على هذا اللفظ هو أحد عشر كوكباً والشمس والقمر والسجود والإنسان فالألفاظ أحد عشر كوكباً، والشمس، والقمر، وساجدين كلها وحدات سيميائية متعلقة بالبنية السردية للقصة فأحد عشر: إشارة إلى أخوة يوسف وهم أحد عشر اخاً، أما الشمس (إشارة إلى أمه أو خالته)، والقمر إشارة إلى أبيه يعقوب بن اسحاق عليهما السلام، و(السجود) فعل يشير إلى تواضعهم ودخولهم تحت أمره وإلى ما سيكون عليه الحال في المستقبل إذ سيؤتى العلم والحكمة والنبوة والملك، (٢) فضلاً عن ذلك إن الأمر متداخل في العرش ووصوله إلى مرتبة متقدمة من حكم مصر فهو عزيزها والمتحكم في أرزاق العباد فيها، فالمركز هو يوسف، ومحيطه من الكواكب أخوته والشمس هو يعقوب، والقمر هي خالته وهي مما يتلقف الضياء من الشمس، وربما يكون مكان يوسف من كل ذلك الأرض بالنسبة للكواكب فهي مكان التوسط بين الحر والبرد، بين الكفر والأيمان، وهو المكان الوحيد النقي من الكواكب وبؤرتها التي تتلقف منها القوة والنماء.

---

(١) – تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل أي القرآن):٦٩.

(٢) – بنية الخطاب السردي في سورة يوسف دراسة سيميائية: ٧ .

وتظهر الذاكرة مرة أخرى في قوله تعالى: ﴿﴿ **وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ**﴾﴾ (القصص:١١) ففي هذه الآية جاء ترتيب الاخبار على وفق ترتيب مضمونها وهذا يرجح أن يكون حصول مضمون (واصبح فؤاد أم موسى فارغاً)سابقاَ على حصول مضمون (وقالت لأخته قصيه) أي قالت لأخته ذلك بعد أن أطمأن قلبها بما ألهمته من إلقائه في اليم قالت لأخته: أنظري اين يلقيه اليم ومتى يستخرج منه، وقد علمت أن اليم لا يلقيه بعيداً عنها؛ لأن ذك مقتضى وعد الله برده إليها، أن الذاكرة الحسية البصرية واضحة في هذه الآية في كلمة القص التي تعني: تتبع الأثر استُعملت هذه المرة في تتبع الذات بالنظر فلذلك عُدي إلى ضمير موسى دون ذكر الأثر، وبصر بالشيء صار ذا بصر، أي باصراً له فهو يفيد قوة الإبصار أي قوة استعمال حاسة البصر وهو التحديق إلى المبصر ف(بصر) أشد من (أبصر) فالباء الداخلة على مفعوله باء السببية للدلالة على شدة العناية برؤية المرئي حتى كأنه صار باصراً بسببه، ويمكن أن نجعل الباء زائدة لتأكيد الفعل فتفيد زيادة مبالغة في معنى الفعل. (١)

وترد هذه الذاكرة في القرآن الكريم لتصور ما حدث بين أم موسى وأخته بعد أن خافتا عليه من القتل وكان ذلك على سبيل الحكاية فالآية المباركة قد نقلت الحادثة في سيمياء ظاهرة، فالتابوت رمز الموت، وقد رسل في اليم ووصل إلى من هو مشروع للقتل لكل طفل يولد في ذلك العام، ومع اجتماع كل حالات الموت حول هذا الطفل لكنه سلم بقدرته الله بل إن فرعون طلب أن يتخذه ولداً، على الرغم من شعوره أن لهذا الطفل شأناً كبيراً في قابل الأيام ولكن إرادة الله غلبت كل شيء وشأن فعاد إلى أمه كما وعدت.

(١)- تفسير التحرير والتنوير: ٢٠/ ٨٢-٨٣

وترد الذاكرة كذلك في قوله تعالى: ﴿﴿**وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْراً وَقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزاً تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنْ الْمُحْسِنِينَ**﴾﴾ (يوسف :٣٦)

فكلمة {أني أراني} و{نراك} هذه المفردات تنتمي إلى الذاكرة الحسية البصرية إعادة ذلك الحدث، {إنا نراك من المحسنين} أي من الذين يحسنون تعبير الرؤيا أي يجيدونها، يقصّ عليه بعض أهل السجن رؤياه فيؤولها له ولذلك طرحا عليه رؤاهما لتلمس الصلاح فيه والقدرة لديه على تفسير رؤاهم. (١)

كما يبرز في النص كلمة (سجن) وهي علامة سيميائية محورية تدل على فقدان الحرية والطعن في الشرف والقيام بالخطأ، وما إلى ذلك من هذه المعاني التي كان سببها السجن أما دلالاتها من حيث الهامشية فتربط بالأمل والدعوة إلى عبادة الله ومن هنا علامة السجن من حيث هي كيان سيميائي شحنت بكل الايحاءات والإيماءات، وكانت أمنا على يوسف إذ أنعم الله تعالى عليه بنعمة العلم والتأويل. (٢)

فالذاكرة لدى المتلقي تقف عند ثلاث الأولى الرؤية ومقدار صدقها من كذبها فمن حصلت له أحدهما كان بريئاً والأخر كان مذنباً فكان حكمها هو بمقدار الحكم الصادر من فرعون، والأمر الآخر هو تفسير الرؤيا الذي وافق الحادثة وما سيأتي مستقبلاً كما ذكر لاحقاً فالأول رجع إلى خدمة الملك، والثاني صلب على الخشب والأمر الثالث هو السجن وما له من ذاكرة وعلامة سيميائية تتمثل في تقيد الحرية وسلبها ولكن السلب هنا أشد أثماً لا سيما أن المسجون قد سجن ظلماً فضلاً عن ذلك أن مفردة الذاكرة قد تكررت في النص فقال اذكرني عند ربك فنسى والذكر هنا فيه إشارة إلى أن يوسف قد كان عارفاً بأن سبيل خروجه من السجن هو هذا العبد ساقي الملك فظلامته كانت مع

---

(١) ينظر – الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل٣/ ٢٨٣.

(٢) ينظر– بنية الخطاب السردي في سورة يوسف دراسة سيميائية:١٤

الرجل الثاني في إدارة الدولة ولا يستطيع أن يزيلها عنه سوى الأول فكان الذكر لهذا العبد قد تحققت بعد أن من الله عليه بالأسباب وعبد له منقذاً للخروج ومنقذاً لأهل مصر ولأرض المحيطة كافةً سبيل لخروج من تحت طائلة الجوع والموت القادم لا محالة .

وكذلك وردت الذاكرة البصرية في قوله تعالى: ﴿ **قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ** ﴾ (البقرة :٦٩)

ظهرت الذاكرة البصرية في هذه الآية بصورة واضحة وذلك في قوله تعالى (تسر الناظرين) أي ((تدخل رؤيتها عليهم مسرة في نفوسهم، والمسرة لذة نفسية تنشأ عن الإحساس بالملائم أو عن اعتقاد حصوله ومما يوجبها التعجب من الشيء والإعجاب به، وهذا اللون من أحسن ألوان البقر فلذلك أسند فعل تسر إلى ضمير البقرة لا إلى ضمير اللون فلا يقتضى أن اللون الأصفر مما يسر الناظرين مطلقاً، والتعبير بالناظرين دون الناس ونحوه للإشارة إلى أن المسرة تدخل عليهم عند النظر إليها من باب استفادة التعليل من التعليق بالمشتق)) [١].

وتدل كلمة اللون في الآية الكريمة التي وردت في عدة مواضع في القرآن الكريم على القدرة المطلقة لله تعالى، وقد يدل هنا أيضاً أن وصف البقرة باللون الأصفر تحديداً لماهية لونها والدلالة على جمال هذا اللون وتأثيره النفسي على الإنسان. [٢]

وربما تكون دلالة اللون فيها أمر أخر مضمر فدلالة اللون الأصفر هي دلالة اللؤم وهذا ما كان عليه بني اسرائيل مع موسى (عليه السلام) في هذه القصة وغيرها ولكن هذا اللون المشؤوم فيه نجاة القوم وفيه جمال وإبداع وربما تسر الناظرين بعد أن يذبحوها ويعرفوا عن طريقها من قتل الرجل وتعود الأمور إلى نصابها القديم وربما تعود بنا الذاكرة إلى موازنة في اللون أيضاً فالأصفر هو لون الذهب وهو أكثر المعادن الذي عشقها بنو

---

(١) – تفسير التحرير والتنوير : ٢٠/٥٥٣-٥٥٤

(٢) – سيميائية الألوان في القرآن الكريم: ٥٠ .

اسرائيل بل أنهم لونوا منها إلهاً وعبدوه قبل ذلك ونسف في اليم وها هنا تذبح البقرة بلون إلههم القديم للتذكير وللإشارة إلى أن الله تبارك وتعالى لم ينس الإساءة التي صدرت منهم بسبب جهلهم وطغيانهم لذا عليهم أن يعودوا إلى رشدهم ويستمعوا إلى قول الرسول(صلى الله عليه وآل وسلم) ولا يكذبوه .

وترد الذاكرة البصرية في قوله تعالى أيضاً: ﴿﴿ **وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾﴾ (الاعراف :١٤٣) وتتركز الذاكرة البصرية في هذه الآية في المفردات (نرى، أنظر، تراني) ففيها تفاسير عدة منها أنه (عليه السلام) كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة ولذلك {قال رب أرني أنظر إليك} المفعول الثاني: محذوف يعني: أرني نفسك أنظر إليك أجعلني متمكناً من رؤيتك بان تتجلى لي فأنظر إليك وأراك، وإنما طلب الرؤية لقومه حين قالوا له {لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرةً} ولذلك دعاهم سفهاء وضلالا، وقال لما أخذتهم الرجفة : {اتهلكنا بما فعل السفهاء منا}، ولم يسأل ذلك إلا بعد أن انكر عليهم ونبههم على الحق فلجوا وتمادوا في لجاجهم، فأراد أن يسمعوا النص من عند الله باستحالة الرؤية عليه وهو {لن تراني} ليتيقنوا وتزول شبهتهم، ومعنى (لن) تأكيد النفي الذي يعطي (لا) وذلك أن (لا) لنفي المستقبل، فقوله تعالى {لا تدركه الابصار} نفي للرؤية فيما يستقبل، وقوله {لن تراني} تأكيداً وبياناً أن الرؤية منافية لصفاته {ولكن انظر إلى الجبل} معناه أن النظر إلي محال فلا تطلبه ولكن عليك بنظرٍ آخر وهو أن تنظر إلى الجبل الذي يرجف بك وبمن طلبت الرؤية لأجلهم كيف أفعل به وكيف اجعله دكاً بسبب طلبك الرؤية لتستعظم ما أقدمت عليه بما أريدك من عظم أثره. (١)

---

(١) تفسير جوامع الجامع: ١ /٦٩٨-٦٩٩

فمن هنا نجد أننا أمام قوم أيغل حب التجسيم في عقولهم فبعد أن عاشوا زماناً تحت مظلة نبي الله يوسف (عليه السلام) ولم يحيدوا عن طريق التوحيد نراهم في وادٍ آخر ففرعون أله اهل مصر قد سن في قلوبهم شريعة عبادته، فضلاً عن الاصنام التي شاهدوها اثناء مسيرهم، فالعجل، وغيره من أمور التجسيم جعلتهم في حمى لطلب الرؤية لاعتقادهم أن الرب يجب أن يكون حاضراً معهم فطلب موسى(عليه السلام) ربما يكون لهم درساً في حيلولة حدوث هذا الأمر واقتناعه بشكل كامل عن الحدوث الأمر الأخر حصوله يعني الموت كما كان سالفاً فبعد عبادة العجل كانت التوبة مقابل أن يقتل بعضهم بعضاً، وحين طلب موسى (عليه السلام) الرؤيا، وحدثت صعق والأمر نفسه تكرر معهم فالموت حليف من يطلب هذا الشيء العظيم أي أن الاشارة السيميائية في النص الرؤيا تساوي الموت في الحالات كلها .

وقد وردت الذاكرة البصرية أيضاً في قوله تعالى: ﴿ **فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ الصَّابِرِينَ** ﴾ (الصافات ١٠٢)وجدت الذاكرة البصرية في هذه الآية في قوله تعالى {فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ} هي رؤيا ابراهيم ذبح ابنه، وقوله تعالى {فأنظر ماذا ترى} هو من الرأي بمعنى الاعتقاد أي تفكر فيما قلت وعين ما هو رأيك فيه، وهذه الجملة دليل على أن أبراهيم عليه السلام فهم من منامه أنه أمر له بالذبح مثل له في مثال نتيجة الأمر ولذا طلب من أبنه الرأي فيه وهو يختبره بماذا يجيبه. (١)

يتضح أن رؤيا الأنبياء وحي فلهذا قال ((إني أرى في المنام اذبحك والاولى أن يكون قد أوحي إليه في حال اليقظة، وتعبد بأن يمضي ما يؤمر به في حال النوم {فأنظر

---

(١) – ينظر:الميزان في تفسير القرآن: ١٥٩,/١٧

ماذا} تراه أو: أي شيء ترى من الرأي فيكون (ماذا) في موضع نصب بمنزلة اسم واحد وعلى الاول يكون (ذا) بمعنى (الذي) أي :ما الذي تبصره من رأيك؟ وما (ما) مبتدأ والموصول مع صلته خبره وقرى (ماذا ترى) بضم التاء وكسر الراء معناه: أجلد ترى على ما تحمل عليه أم خوراً؟ (أفعل ما تؤمر) أي: ما تؤمر به فحذف الجار)). [١]

فأعطى أمر الذبح وتنفيذه لولده المذبوح والذي لم يكن مذنباً بشيء ولكن التواشج الاجتماعي بين إبراهيم وابنه حتى لو كان منقطعاً؛ لأن اسماعيل قد عاش بعيداً عن ابيه وله أخ آخر من أم أخرى هو اسحاق ولكن الأب كان في مدار رؤيا الذبيح وهو اسماعيل ابنه الأكبر ولصدق الولد برؤية الوالد وبصدق دعواه وجده صابراً على الأمر و لم يرفضه البتة ما دام فيه طاعة لأمر الرب فضلاً عن ذلك إن الأمر فيه تواشج مع ما كان سابقاً بين ابراهيم وابيه فعلى الرغم من التعارض بينهما كان الجو الأسري والاحترام بينهما قد تمظهر في نصوص كثيرة لقوله تعالى (أراغب انت) فمقارنة الأمر بين أعمدة هذه العائلة نجد أن الروابط والأواصر الأسرية قد القت بظلالها فلم يخرج ابراهيم عن أبيه ولم يتكلم عن أمر ربه وسبيل أبيه حتى مع كونه في موضع امتحان وأي امتحان أنه الموت تحت يدي والده، حققت الذاكرة البصرية كثيراً من المدلولات الحية في النصوص التي وردت فيها فهي ترسم لنا لوحة جمالية وكأننا أمام تجسيداً مرحباً للأحداث القرآنية، التي تجعل القارئ مستمتعاً مع الأحداث بمختلف جوانبها .

(١)- تفسير جامع الجوامع، /١٧٢.

المبحث الثاني: الذاكرة السمعية (ذاكرة الاصداء)

الذاكرة السمعية: واحدة من سجلات الذاكرة الحسية الذاكرة، ولا يقل شأنها عن الذاكرة البصرية، بل تفوقها في الأهمية في كثير من الأحيان، وتعرف بذاكرة الاصداء الصوتية؛ لأنها مسؤولة عن استقبال المنبهات الصوتية للمثيرات البيئية، وكما هو الحال في الذاكرة الحسية البصرية فإنّ هذه الذاكرة تستقبل صورة مطابقة للخبرة السمعية التي يتعرض لها الفرد في العالم الخارجي، وتشير التجارب إلى أنّ الافراد يستطيعون استقبال عدد كبير من المدخلات الحسية السمعية في لحظة من اللحظات، ولكن سرعان ما يزول كثير منها فيتم التركيز على بعض المدخلات وإهمال الأخرى، وعلى الرغم من ذلك فقد وجد أن الأفراد بإمكانهم تذكر بعض المعلومات من الخبرات السمعية التي لا يولون أنتباههم لها، وتتمتع الذاكرة الحسية السمعية بإمكانية استقبال أكثر من مدخل حسي سمعي من مصدر واحد أو مصادر متعددة في نفس الوقت، كما أن عملية تمييز الأصوات فيها تعتمد على السياق فضلاً عن طبيعة ونوعية الأصوات التي تستقبلها أو تتبعها، هذا ويحدث فقدان الأثار الحسية فيها بسبب عامل الإحلال، إذ تعمل الأصوات الجديدة على إزالة الآثار الحسية السابقة للخبرات السمعية لتحل محلها. (١)

لقد وردت العديد من الآيات القرآنية تحتوي على الذاكرة الحسية السمعية في القرآن الكريم وخير مثال على ذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَاراً** ﴾ (نوح:٧) ففي هذه الآية ذاكرة سمعية واضحة في كلمة (آذانهم) أي هنا يوضح أنّه لكي لا يسمعوا صوت الحقّ كانوا يضعون أصابعهم في آذانهم ويلفون ثيابهم حول أنفسهم أو يضعونها على رؤوسهم لئلا تصل أمواج الصوت إلى أدمغتهم ،وربما كانوا يتقنعون لئلا تقع أعينهم على الهيئة الملكوتية لهذا النبيّ العظيم(صلى الله عليه وآل وسلم) وفي الحقيقة كانوا

(١) – ينظر: علم النفس المعرفي، رافع الزغول :٥٦–٥٧.

يصرون على أن تتوقف الآذان عن السماع، والعيون عن النظر، وهذا أمر مدهش أن يصل الإنسان إلى هذه المرحلة من العداوة للحق إلى حد لا يعطي لنفسه فرصة النظر والسماع والتفكير. (١)

فهؤلاء المنافقون يتقون وعيد الله الذي انزله في كتابه على لسان رسول الله(صلى الله عليه وآل وسلم) بما يبدونه بألسنتهم من ظاهر، كما ينفي الخائف أصوات الصواعق بتغطية أذنيه بأصابعه فيها حذراً على نفسه منها ...فهؤلاء كانوا إذ حضروا مجلس الرسول(صلى الله عليه وآل وسلم) يدخلون أصابعهم في آذانهم فرقاً من كلام رسول الله (صلى الله عليه وآل وسلم)الذي أن نزل فيهم شيئً أو يذكروا بشيء فهؤلاء هم المخادعون. (٢)

إنّ النص يرسم صورة خلابة فهو يراعي الكيفية المنتزعة من جموع الكلام فالبرق وأشعته هو الإسلام والصاعقة وصوتها الهادر هو كلام الرسول(صلى الله عليه وآل وسلم) وحديثه بالقرآن فهذا الكلام كأنّه صوت الصاعقة التي تضرب هؤلاء المنافقين وتنتزع أرواحهم من أجسادهم الرثة، فالمشهد الرباني رسم بوساطة إشاراته المتعددة أنماطاً من الجزيئات التي تجتمع فيما بينها لتحقيق الرواية الكاملة فالضوء أمامه البصر والصاعقة أمامها السمع والقرآن هو البؤرة وحديث الرسول(صلى الله عليه وآل وسلم) هو الأداة لتحقيق كل ذلك.

ووردت الذاكرة السمعية أيضاً في قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمْ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ** ﴾ (البقرة: ٩٣) في كلمة {اسمعوا} و{قالوا سمعنا} أذ إنهم قالوا سمعنا ولم يقولوا عصينا والحكاية هنا هي تصوير حي

---

(١)ينظر :الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل:١/ ٤٩.

(٢) ينظر: جامع البيان :١/١٢٢.

للواقع الصامت كأنه واقع ناطق لقد قالوا بأفواههم: سمعنا وقالوا بأعمالهم: عصينا والواقع العملي هو الذي يمنح القول الشفهي دلالته، وهذه الدلالة أقوى من القول المنطوق ...وهذا التصوير الحي للواقع يومئ إلى مبدأ كلي من مبادئ الإسلام إنه لا قيمة لقول بلا عمل إن العمل هو المعتبر أو هو الوحدة بعد الكلمة المنطوقة والحركة الواقعة))[١] ، فأتاهم الأمر بقوة أي بجد ومواظبة في طاعة الله، وقيل لهم أسمعوا (فقالوا سمعنا وعصينا) أي سمعنا قولك وعصينا أمرك ولولا مخافة الجيل ما قبلنا[٢] .

فهؤلاء قد سمعوا ما يتلى عليهم فسمعوا وهذا اللفظ يحتمل الاستماع والقبول لكنهم اجابوا (سمعنا وعصينا) فهو جواب كأنه استهزاء فقالوا سمعنا وعصينا فسماعهم لم يكن سماع قبول وطاعة ولكنه سماع ثم معصية [٣]

والأمر ليس غريباً على فهمهم على الرغم من الآيات البواهر كلّها لم يتوانوا عن الكفر ، فهؤلاء القوم يتلاعبون في زمن قراراتهم ما بين الإيمان والكفر فالطور ورفعه فوقهم والعذاب الذي أُحكم عليهم تنفيذاً للعقوبة التي قدرت لهم، ولكن تلفظهم بالإيمان واصرارهم على الكفر مدارات كثيراً ما تلاعب عليها هؤلاء مع العقوبات الجزئية التي لاحقتهم ولكنهم استمروا في تقبلها، فالآية المباركة بين رفع الطور فوق مدائن بني اسرائيل وسمعهم الداعي للحق وعصيانهم لأمره ومن ثم جاءت الدلالة الكامنة في النص على سبيل المجاز (فاشربوا في قلوبهم حب العجل)، ليكون دلالة على حب الكفر وحب التجسيم فرفع الطور هو مدار عقوبة وتخويف فما استقر في قلوبهم من كفر لا يمكن أن يكون بثقل ما هو فوقهم من حجر أصم رفع بقدرة الله تبارك وتعالى لإظهار قوته فأين قوة عجلكم أمام هذه القوة.

---

(١) – في ظلال القرآن:٢/ ٩١ .

(٢) – بحر العلوم:١/ ٧٤.

(٣) – مجمع البيان في تفسير القرآن:١/ ٣١٨.٨

وورد ذكر الذاكرة السمعية في قوله تعالى: ﴿﴿ **رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ**﴾﴾ (ال عمران:١٩٣) نجد الذاكرة السمعية في قوله تعالى {سمعنا منادياً} أرادوا به الرسول محمد(صلى الله عليه وآل وسلم)، والمنادي هو الذي يرفع صوته بالكلام، والنداء: رفع الصوت بالكلام رفعاً قوياً لأجل الأسماع وهو مشتق من النداء بكسر النون وبضمها وهو الصوت المرتفع، يقال هو اندى صوتاً أي أرفع، فأصل النداء الجهر بالصوت والصياح به، ومنه سمي دعاء الشخص شخصاً ليقبل إليه نداء؛ لأنّ من شأنه أن يرفع الصوت به ولذلك جعلوا له حروفاً ممدودة مثل (يا)و(آ)و(أيا)و(هيا) ومنه سمي الآذان نداء واطلق هنا على المبالغة في الأسماع والدعوة وإن لم يكن في ذلك رفع الصوت، ويطلق النداء على طلب الإقبال بالذات أو بالفهم بحروف معلومة كقوله تعالى ﴿﴿**وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدقْتَ الرُؤْيَا**﴾﴾ (فصلت :١٠٤) ويجوز أن يكون هو المراد هنا؛ لأنّ النبي محمد(صلى الله عليه وآل وسلم) يدعو الناس بنحو: يأيها الناس، و يا بني فلان، و يا أمة محمد ونحو ذلك[١]، فالمنادى هو الرسول(صلى الله عليه وآل وسلم)، وذهب بعضهم إلى أنه القرآن [٢].

{وسمعنا منادياً} فيه ضرب من التجوز فهم سمعوا دعوة من الله فأجابوها واحسنوا فيها وصبروا عليها لأنّ الإشارة بالمنادي إلى العقل والكتاب المنزل، والرسول المرسل(صلى الله عليه وآل وسلم) وسائر الآيات الدالة على وجوب الإيمان بالله تعالى جعله منادياً إلى الإيمان لظهوره ظهور النداء، وحثه على ذلك كحث المنادي ؛لأنّ

(١) – ينظر :تفسير التحرير والتنوير:٣/١٩٩.

(٢) – ينظر:جامع البيان :٣/١٤١.

أصل النداء من الندى، أي: الرطوبة، واستعار النداء للصوت ؛لأن من يكثر رطوبة فمه حسن كلامه[١] .

وظهرت الذاكرة السمعية أيضاً في قوله تعالى: ﴿﴿ **كَلاَّ إِذَا دُكَّتْ الأَرْضُ دَكّاً دَكّاً**﴾﴾ (الفجر:٢١) ترد الذاكرة السمعية في الآية (دكت) والدك هو الدق الشديد، والمراد بالظرف حضور يوم القيامة، وهناك رد ثان عما يقوله الإنسان في حالي الغني والفقير وقوله {إذا دكت الأرض} في مقام التعليل للردع، ومحصل المعنى ليس كما يقوله الإنسان فإنه سيتذكر إذا قامت القيامة إنّ الحياة الدنيا وما فيها من الغنى والفقر واضرابهما لم تكن مقصودة بالذات بل كانت ابتلاء وامتحاناً من الله تعالى يميز به السعيد من الشقي ويهيئ الإنسان فيها ما يعيش به في الأخرة وقد التبس عليه الأمر فحسبها كرامة مقصودة بالذات فأشتغل بها ولم يقدم لحياته الآخرة شيئاً فيتمنى عند ذلك ويقول: يا ليتني قدمت لحياتي ولن يصرف التمني عنه شيئاً من العذاب [٢].

فالذاكرة هنا ذاكرة مستقبلية توصف ما سيحدث في ذلك اليوم الذي اخفاه الله عن عبادة، من أهوال عظيمة تكون ردعاً وزجراً نتيجة أفعالهم القبيحة ((فتهدم الأرض بهذا اليوم عن طريق الدك والزلزلة مرة بعد مدة حتى تتكسر وتتفتت ويصبح كل ما فيها وما عليها هباءً منثوراً كالجبال، والقصور، والمباني العالية)) [٣]

فالذاكرة السمعية وإحداث يوم القيامة تتساوق في النص لترسما مشهداً عظيماً هو حاصل في الأرض ولكن حصوله لا يحتسب؛ لأنّه لا يمت للشدة التي نتذكر فيها مستقبلاً فالإنسان قد شاهد أمر دك السلاسل لكنه دكا متباعداً، في أماكن محدودة ولكنه معروف وله من الأثر ما قد غير وجد الأرض، فكيف إذا كان هناك هذا الدك متواصلاً

---

(١) – ينظر مفردات ألفاظ القرآن:٧٩٧.

(٢)– ينظر: الميزان في تفسير القرآن :٢٠ / ٢٧٨.

(٣) – التفسير الوسيط للقرآن الكريم: ١٠ / ١٩٠٥.

محيلًا كل ما على البسيطة من مرتفعات إلى ذرر إلى تراب مخرجاً ما تحتها ناشداً ما فيها للقيامة مجهزاً لهم ليوم لاريب فيه ليومٍ واقع للحساب على ما جنوه وعلى ما فعلوه في سابق أيامهم في الدنيا ؟.

وورت الذاكرة السمعية أيضاً في قوله تعالى: ﴿﴿ **فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا**﴾﴾ (الشمس:١٤) (دمدم) تعني اهلك، وتأتي احياناً بمعنى عذب وعاقب وأحياناً بمعنى سحق واستأصل، وبمعنى سخط أو أحاط، و(سواها) من التسوية وهو تسوية الأبنية بالأرض نتيجة صيحة عظيمة وصاعقة وزلزلة أو بمعنى إنهاء حالة هؤلاء القوم أو تسويتهم جميعاً في العقاب [١] .

ف(الدمدمة) الغضب وما يتبعه من تنكيل واللفظ ذاته (دمدم) يوحي بما وراءه ويصور معناه بجرسه ويكاد يرسم مشهداً مروعاً مخيفاً؛ وقد سوى الله أرضهم عاليها لسافلها، وهذا المشهد يرتسم بعد الدمار العنيف الشديد[٢]، مجازاً لمشهد العذاب موحياً مخيفاً بوساطة توظيف اللفظ الاهتزازي؛ لأن (دمدم) تكرر قولهم (ناقة مدموم) إذا البسها الشحم[٣] ((وقيل بل إنّ المقصود بها أطبق عليهم الأرض يقال دمدم عليه القبر، إذا اطبقه، أي سواه، فالدمدمة هي جعل الأرض مستوية عليهم لا تظهر فيها أجسادهم ولا بلادهم))[٤] فالدلالة الايحائية للنص نجتمع فيها الذاكرة بمشهد سيميائي بديع، رسم فيه المشهد العقابي على قدم عاد فجاز العذاب دون تراخ، فدمرت مدنهم فأصبحت مستوية، وجعل عاليها أسفلها وكل ذلك رسمه الباري عز وجل بمشهد بديع تعانقت فيه ألفاظ النص مع دلالاته الإيحائية فضلاً عن الكناية في رسم المشهد وبيان حال القوم

---

(١) –ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل:٢٠ / ٢٤٥.

(٢) – ينظر: ظلال القرآن : ٦/ ٢٩٨.

(٣) – ينظر: تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: ٣٠/ ١٢٠٦

(٤)– تفسير التحرير والتنوير :٣٠/ ٢٧٥.

الذين لم يخرج منهم أحد ، ولم ينجو أحد ، ولم يرى عذابهم أحد ، فكان كلّ شيء قد أعد وكلّ فعل قد وضع وكلّ حياة قد سلبت في دائرة العذاب المتواصل لهؤلاء القوم، حتى أصبحوا للناس عبرة في شدة غضب الله من المتجبرين.

وورت الذاكرة السمعية أيضاً في قوله تعالى: ﴿﴿ **وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ**﴾﴾ (لقمان:١٩) نلاحظ وجود الذاكرة السمعية في جملة {إن أنكر الأصوات لصوت الحمير} هنا في الآية تعليل علل به الأمر بالغض من صوته باعتباره متضمناً تشبيهاً ((أي: إنّ صوت الحمير أنكر الأصوات ورفع الصوت في الكلام يشبه نهيق الحمير فله حظ من النكارة))[١]

فالعلامة السيميائية في هذه الآية الكريمة الصوت القبيح أو الجميل هو لغة سيميائية فقبح الصوت إشارة وسمة بارزة في قوله تعالى حتى يصور مشهد احترام الأب والأم فرفع الصوت عليهما كأنّ رافعه لا يخرج عن صفة الحيوان لا غير فلو كان رفع الصوت وهو خير ما جعله للحمير .[٢]

فضلاً عن ذلك إن النص قد صاحب تأني معانيه بهذه الكيفية من التعبير قد صورت لمعاني فرعية للألفاظ ذات الجرس الذي يحرك النفس أول الأمر عندما طلب الرفق والرحمة والتذلل للأهل. [٣]

ثم ينتقل المشهد لوصف من خالف ما تقدم مظهراً الاستخفاف فيه والذم بفعلهم؛ ((لأن من قبيح هذا الفعل وأنّه لا فضيلة له؛ لأنّ الحمير ترفع أصواتها وهو أنكر الاصوات ...اقبحها وكل هذا تعليماً للعباد وتزهيداً لهم في رفع الصوت))[٤] فالحدث يكاد يكون متكرراً في كل بيوت الناس والذاكرة السمعية قد اظهرت غايتها فكلّ فعل هو

---

(١) – تفسير التحرير والتنوير: ٢١/ ١٦٨.

(٢) – ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن:٢١/ ٤٩ .

(٣) – ينظر: التفسير الكبير تفسير القرآن:١/ ٣٧.

(٤) – احكام القرآن::٥/ ٢٢٠ .

مدار ذكر وقول في طلب الشيء أو منحة سمة ربانية بكثرة حتى مع اغراب الناس فكيف إذا كان الطالب والمطلوب من ذوي الدم الواحد؟، الاب والام الابن هنا ترسم لوحة العائلة ميدان التعامل فيها ما بين أفرادها فكل قول لابد أن يكون في مدار الهم إلى ذاكرة القوم مع صوت الحمار الذي أولد ارتشاف وآخره شردقة النفوس، تشبيهاً وشهيقاً تصدع منه الآذان وتشمئز منه النفوس، تشبيهاً لكل فعل وكلام غير مهذب بوجه الوالدين .

ونجد الذاكرة السمعية تظهر أيضاً في قوله تعالى: ﴿﴿ **وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾﴾ (الاعراف:٢٠٤)

ترد الذاكرة السمعية في كلمة (نصت) ((والإنصات السكوت مع استماع، وقيل هو الاستماع مع سكوت يقال :أنصت له أي استمع ساكتاً، وأنصته غيره وأنصت الرجل أي سكت فالمعنى استمعوا للقرآن واسكتوا)) [١] .

وقد جاء في لسان العرب ((نصت الرجل ينصت نصتاً وانصت وهي أعلى، وأنصت: سكت والإنصات هو السكوت والاستماع للحديث يقال أنصتوه أو أنصتوا له))[٢]، وكذلك فسرها ابن عاشور بأنها ((أمر بتوجيه الاستماع إلى الكلام اهتماماً به لئلا يفوت منه شيء ...والإنصات الاستماع مع ترك الكلام ويكون الإنصات الاستماع جامعاً لمعنى الإصغاء وترك اللغو)) [٣]

أذا اردنا أن نقارن دلالة السمع بدلالة الإنصات فأننا نجد أن الإنصات له دلالة أعمق من السمع، وذلك لأن السمع هو وصوت الأصوات إلى المسمعة أي الأذن أما الإنصات فهو أدراك وفهم هذه الاصوات وأهميتها المعجمية مرتبطة بالصمت عندما يصمت الإنسان وهو يسمع شيئاً معيناً عليه أن يكون حاضراً بالفطرة ليستقبل بعقله وقلبه.

---

(١) – تفسير الميزان في القرآن : ٨ / ٣٨٢ .

(٢) – لسان العرب:, مادة (نصت)

(٣) – تفسير التحرير والتنوير: ٨/ ٤١١ .

فالذاكرة السمعية أذابت حدود الازمان فكل ما يشغل الناس في مجالسهم هو حياتهم وواقعهم أي كان نوعه لذا كان الأمر سابقاً ومستقبلاً فيه إشارة إلى ترك هذا الفعل المذموم والإستماع لما يقال من محكم التنزيل تحقيقاً لصفة التأدب عند القول؛ لأنه ما يقال هو دستور الناس وكلام الله المنزل لا يأتيه الباطل فهو أفضل من أي كلام دائر في مدارات حديث العباد في أي مجلس من مجالسهم؛ لأنه شارح ومشرع لما هو في صدر مناقشة في مجالسهم جميعها وهو خير الكلام وأحسنه.

المبحث الثالث: الذاكرة اللمسية:

وهي أحد أنواع الذاكرة المتعلقة بمحفزات اللمس المتمثلة بالجلد بعامة ومن ضمنه اليدين التي تعرف على أنهما الأكثر استعمالاً في حاسة اللمس فهي مسؤولة عن خزن خبرات الإنسان المتعلقة بلمس الأشياء، مما يجعل الإنسان يدرك بحسب خزين هذه الذاكرة ملمس الاشياء وكونه ناعماً أو خشناً، ويربط النار بالحرارة وهكذا وتوجد أيضاً في جميع أجزاء الجسم وذلك من خلال حساسية الجلد لمختلف أنواع المثيرات عن طريق أعضاء الاستقبال الجلدية حيث يمكن تميز انواع مختلفة للإحساس ولكل نوع حساس نوع حساس لأحد انواع الاثارة كالإحساس بالألم والإحساس بالحرارة وغيرها .

إن حاسة اللمس في القرآن الكريم ((لا تحتل إلا مكاناً ثانوياً في اكتساب الإنسان لعلومه ومعارفه وكذلك في ادراكه للكون وما فيه، ولذلك نجد أن القرآن الكريم لم يركز عليها كما ركز على السمع والبصر كحاستين لهما الأولوية في توسيع علوم الإنسان)) [١]

ومن بين الآيات التي وردت فيها الذاكرة اللمسية قوله تعالى: ﴿﴿**وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَاباً فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُبِينٌ**﴾﴾ (الانعام :٧).

تظهر الذاكرة اللمسية في جملة {فلمسوه بأيديهم} فعاينوا ذلك معاينة ومسوه بأيديهم، ((فاللمس باليد أبلغ في الاحساس من المعاينة ولذلك قال فلمسه بأيديهم دون أن يقول فعاينوه {لقال الذين كفروا أن هذا إلا سحر مبين} أخبر الله سبحانه وتعالى أنهم يدفعون الدليل حتى ولو أتاهم الدليل مدركاً بالحس لنسبوا ذلك إلى السحر لعظم عنادهم وقساوة قلوبهم وفي هذه الآية دلالة على ما يقوله أهل العدل في اللطف ؛لأنه تعالى يبين أنه إنّما لم يفعل ما سألوه حيث علم أنّهم لا يؤمنون عندها {وإذا قضى أمراً فإنّما يقول له

---

(١)- الحواس الإنسانية في القرآن الكريم:١١٦ .

كن فيكون} (ال عمران:٤٧٩)، وقوله تعالى (لمسوه بأيديهم) توكيداً لنزوله، وقيل إنّما علقه باللمس باليد إبعاداً له على السحر؛ لأنّ يتخيل في المرئيات دون الملموسات))[١]، فتخصيص، اللمس لان التزوير لا يقع فيه، فلا يمكنهم أن يقولوا إنما سكرت أبصارنا ؛ ولأنّه يتقدمه الأبصار حيث لا مانع، وتقيد الأيدي لمنع التجوز[٢] ، فالنص القرآني حُملَ بالذاكرة اللمسية يثبت أن المشرك بالله لم يحقق الله له ما طلب من النبي(صلى الله عليه وآل وسلم)؛ لأن الأمر قد وقع سابقاً، ولم يرعو المخالف ولم يتعظ ويقبل في حكم الله وتعاليمه.

ووردت الذاكرة الحسية أيضاً في قوله تعالى: ﴿﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنْ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ**﴾﴾ (الحجرات :١٢) ظهرت الذاكرة اللمسية في قوله تعالى {ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا } دالة على التفحص إذ فسرها أبن مسعود ((ولا تبحثوا عن عورات المسلمين))[٣]، (صيغة تجسس) تفيد الطلب وتجسس الأمر إذا تطلبه وتبحث عنه[٤]. ونعلم أن تتبع العورات إما أن يكون باللسان وإما أن يكون بالعين، وبهذا يكون اللسان والعين آلتين لتتبع عورات المسلمين ليكون المجاز المرسل بعلاقته الآلية سبباً في إنتاج هذه الدلالة.

فالتجسس التفتيش عن بواطن الامور واكثره في الشر[٥]، وجاء على تفعل لما فيه من معنى الطلب؛ لأنّه يراد منه معنى التكليف كالتلمس فأنه تفعل من اللمس وهو لمس

---

(١) – زاد المسير في علم التفسير:٢/ ١١.

(٢) – ينظر: انوار التنزيل واسرار التأويل:٣/ ١٥٥ .

(٣) – تفسير أبي السعود إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم:٦/ ١١٧–١١٨.

(٤) – ينظرالكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل :٤/ ٣٧٥ .

(٥) – ينظر : تفسير الخازف :اسباب التأويل : ٤ ١٨٢١

باليد لتعرف حال الشيء ، فالأصل للكلام هو خذوا ما ظاهر ودعوا ما ضر الله ولا تفحصوا عن بواطن الامور. (١)

فالذاكرة الجمعية للمسلمين قبل أن يدخل الإسلام في حياتهم كانت لديهم من الصفات المنبوذة غير المحببة فكان المنع لهذا مترافقاً مع التذكير بكره الناس لهم فالإشارة للأمر ظاهرة وترك هذه الصفة كان مطلباً مع الاشارة بصورة منظرة وفق نظرة وعلامة تقبله الوقع على النفوس (إيحب احدكم ان يأكل لحم اخيه.....) فالنص يلتمس الأمر ثم ينهى عنه ويبين خطورته ومن ثمّ يمثله بالشكل المخيف برسم مسرحي (أكل الأخ ميتاً) لبيان المقت لهذا الفعل القبيح .

وفي قوله تعالى: ﴿﴿ **فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّيناً وَقَالَتْ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَراً إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ**﴾﴾ (يوسف :٣١) ظهرت الذاكرة اللمسية في قوله تعالى هنا في جملة {وقطعن ايديهن} أي جرحنها بتلك السكاكين على جهة الخطأ بدل الفاكهة فما شعرن الا بالدم ولم يحدث القطع لإشغال قلوبهن بيوسف (عليه السلام)(٢) فالقطع كناية عن الدهشة والحيرة، فقطعت أيديهم لما وقع في قلوبهن من حب يوسف (عليه السلام) وربما تكون نظرتهن إلية نظرة عشق لمعشوق قد خلق من مثال فلم تكن نظرتهن له نظرة زليخا نظرة عشق ورعونة، بل عشق من الجلال والعظمة حتى قطعت ايديهن دون شعور(٣) فالتقطيع حاصل أي كان نوعه والنسوة قد انشغلت بجمال سمت يوسف والذاكرة قد بينت ما حدث لهن من وقع الصدمة فالتمثيل كان بالملك الكريم وكان حجب الغيب قد رفعت عن هؤلاء وأصبحت في مجال رؤية الجمال المتجرد من دوافع السوء فذاكرة القطع، والتشبيه بالملك كلها قد تجمعت لتحقق في الإكبار ليوسف، وتبين

(١) – تفسير روح البيان:٩/ ٨٧.
(٢) – جامع البيان في تفسير القرآن : ٥/ ٣٥٣ .
(٣) – ينظر:عرائس البيان في حقائق القرآن:٢/ ١٦٨ .

مقدار الهبات المتوجه له من لدن الرب، فكان للقوم المقربين، ومن ثم لأهل مصر كافة.

وقد وردت الذاكرة اللمسية في قوله ﴿﴿ **فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ (١٣) مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ (١٤) بِأَيْدِي سَفَرَةٍ (١٥) كِرَامٍ بَرَرَةٍ**﴾﴾ (عبس : ١٣-١٦) في قوله {في صحف} ((صفة ل{تذكرة} يعني أنّها مثبتة في صحف مستنسخة من اللوح {مكرمة} عند الله {مرفوعة} في السماء أو: مرفوعة المقدار {مطهرة} منزهة عن الشياطين، لا يمسها إلّا {ايدي} ملائكة مطهرين {سفرة} كتبةٍ يستنسخون الكتب من اللوح {كرام} على ربهم {بررةٍ} انقياء، وقيل: هي صحف الأنبياء كقوله تعالى {إن هذا لفي الصحف الاولى}))[١] فلا يمسه الا المطهرون قال بأيدي الملائكة الذين يحصون على الناس اعمالهم وقيل لا يمسه الا المطهرون، خلافاً لحال الدنيا فقد يمسه المجوس النجس والمنافق، والمطهرون لا تحديد في نوعهم فهما الملائكة والانبياء والصديقون والصالحون[٢].

وذهب بعضهم إلى أنهم رسل من الملائكة ((يسفرون بالوصي بينه تعالى وبين الأنبياء على إنه جمع سفير من السفارة وحملهم على الأنبياء عليهم السلام لإن وظيفتهم التلقي من الوصي لا الكتب منه وإرشاد الامة بالأمر والنهي وتعليم الشرائع والاحكام لا مجرد السفارة إليهم وكذا حملهم على القراء لقراءة الأسفار)) [٣]

فالذاكرة اللمسية علي ما ترد من روايات عن طهارة الملائكة وخلقهم من نور الله قد جعل لهذا الأسفار من الرفعة والشأن الكبير، مع الاستدلال بالأيدي على سبيل المجاز مع الهالة الربانية التي خلقت لهذه الأمر وما تشتركه الذاكرة العربية وغيرها لهم، لا

---

(١)- تفسير جوامع الجامع: ٣/ ٧٣٠ .

(٢) - تفسير الطبري :٢٠/ ٣٦٦ .

(٣) - البحر المديد في تفسير القرآن المجيد : ٣/ ٢٣٨.

سيما أنهم قد استمعوا إلى ما ذكر سابقاً من فعل لهؤلاء، حادثة إبراهيم (عليه السلام) وما حدث مع لوط (عليه السلام)، وقوم عاد أيضاً عندما تجسموا وقاموا بتنفيذ أمر الرب .

ووردت الذاكرة اللمسية في قوله تعالى ﴿ **اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ**﴾ (الزمر:٢٣)

في الآية المباركة تظهر الذاكرة اللمسية في {تقشعرمنه} ((أي اقشعر الجلد: إذا تقبض تقبضاً شديداً، وتركيبه من حروف القشع وهو الأديم اليابس، مضموماً إليها حرف رابع وهو الراء؛ ليكون رباعياً ودالا على معنى زائد يقال :اقشعر جلده من الخوف وقف شعره، وهو مثل في شدة الخوف، فيجوز أن يريد به الله سبحانه التمثيل تصويراً لإفُراط خشيتهم، وأن يريد التحقيق والمعنى أنهم إذا سمعوا بالقرآن وبآيات وعيده أصابتهم خشية تقشعر منها جلودهم، ثم إذا ذكروا الله ورحمته وجوده بالمغفرة لانت جلودهم وقلوبهم وزال عنها ما كان بها من الخشية والقشعريرة))[١]، وقيل ((تقشعر منه؛ تتحرك مما في القرآن من الوعيد، ويقال: ترتعد منه الفرائص، ثم تلين جلودهم وقلوبهم بعد الاقشعرار))[٢] فالمعاني الموسومة بالجزالة التي تشير في النفوس روعة وجلالة ورهبة تُبعث على امتثال السامعين له، وعلمهم بما يتلقونه من قوارع القرآن وزواجره، وكنّى عن ذلك بحالة تقارن انفعال الخشية والرهبة في النفس لأن الإنسان إذا ارتاع وخشى اقشعر جلده من أثر الانفعال الرهباني [٣]

(١) تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل:٥/ ٢٨٦.

(٢) – بحر العلوم: ١٨٣/٣.

(٣) ينظر:تفسير التحرير والتنوير:٢٤/ ٧٠.

فالذاكرة اللمسية تبين اقشعرار الجلد عندما يتموج صوت القرآن الكريم منازل القلب فتراه مرآة عامرة وجدلاً مبحراً في أفانين الجمال والقناعة، فالذاكرة قد اظهرت حال الإنسان عندما يتعرض لأي شيء قد يكون صادقاً.

المبحث الرابع : الذاكرة الذوقية :

تعرف بأنّها ((وجود الطعم بالفم وأصله فيما يقل تناوله دون ما يكثر فإن ما يكثر منه يقل له طعم الأُكل)) [١]، فالذاكرة الذوقية هي إحدى أنواع الذاكرة الحسية وتعتمد على ((الحاسة التي تميز بها خواص الأجسام الطعمية بواسطة الجهاز الحسي في الفم ومركزه في اللسان))[٢] ويدرك بهذه الحاسة الطعوم من الحلو والحامض وغيرهما وهي مرتبة في اللسان وهي التي يزودها بالمعلومات التي تقوم بخزنها فنحن نعرف مسبقا بفضل هذه الذاكرة طعم الذاكرة الكثير من الأطعمة والأشربة بفضل خزن هذه الذاكرة لطعمها سواء كانت مالحة أم حلوة أم حامضة أم مرة بناء على التجربة السابقة المخزونة في الذاكرة الذوقية.

إنّ لفظ الذوق تردّد في القرآن الكريم في مواضع عدة في معاني غير المعنى الأصلي للذوق، فوردت الذاكرة الحسية الذوقية في قوله تعالى ﴿**وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمْ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**﴾ (البقرة ٥٧)فالذاكرة تظهر للعيان بقوله ﴿**كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ ما رَزَقْنَاكُمْ**﴾ صورته صورة الأمر و المراد به الإباحة؛ لأنّ الله تعالى لا يريد المباحات من الأكل و الشرب في دار التكليف و الطيبات معناه الحلال. و قيل معناه المستلذات[٣] فالذاكرة الذوقية سوف تتحرك ضمن مدار المستباحات وتتلقف ما قدم للانسان من نعم؛ وهو هنا في صدد ذكر النعم التي اشاعها لبني اسرائيل بعد أن نجاهم الله من فرعون فمنحهم هبة المن والسلوى طعام رباني خفيف علي البدن كبير الفائدة له، ولكن الآية المباركة وكانها تشير إلى أن الأمر سرعان ما سيكون وبالًا على القوم بعد أن يطلبوا أن يمدهم

---

(١)تفسير مفردات الفاظ القران الكريم : ٣٣٨ .

(٢)المعجم الوسيط , مجمع اللغة :٣١٨

(٣) – التبيان في تفسير القرآن:٧/١٩.

الله بما هو مطلوب ومتحقق عن طريق السعي والجهد فكأن الإنسان قد خلق للجهد والعمل ولا يستطيع ان يتلقف هبات الرب المتعددة التي ترد سراعا وتذهب غدا لم تجد من يقدر حقها، والخطاب خاص بالمؤمنين بعد الخطاب السابق للناس فهو من قبيل انتزاع الخطاب من الخطاب، كأنه انصراف عن خطاب جماعة ممن لا يقبل النصح و لا يصغي إلى القول، و التفات إلى من يستجيب الداعي لإيمانه به، و التفاوت الموجود بين الخطابين ناشئ من تفاوت المخاطبين، فإن المؤمنين بالله لما كان يتوقع منهم القبول بدل قوله: مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلالًا طَيِّباً من قوله:طَيِّباتِ ما رَزَقْناكُمْ، و كان ذلك وسيلة إلى أن يطلب منهم الشكر لله وحده لكونهم موحدين لا يعبدون إلا الله سبحانه، و لذلك بعينه قيل: ما رَزَقْناكُمْ و لم يقل: ما رزقتم أو ما في الأرض و نحوه، لما فيه من الإيماء أو الدلالة على كونه تعالى معروفا لهم قريبا منهم حنينً رءوفا بهم، و الظاهر أن يكون قوله: مِنْ طَيِّباتِ ما رَزَقْناكُمْ، من قبيل إضافة الصفة إلى الموصوف لا من قبيل قيام الصفة مقام الموصوف فإن المعنى على الأول كلوا من رزقنا الذي كله طيب، و هو المناسب لمعنى التقرب و التحنن الذي يلوح من المقام، و المعنى على الثاني كلوا من طيب الرزق لا من خبيثه، و هو بعيد المناسبة عن المقام الذي هو مقام رفع الحظر، و النهي عن الامتناع عن بعض ما رزقهم الله سبحانه تشريعا من عند أنفسهم و قولا بغير علم. [١] ومن خصوص بني اسرائيل إلى عموم المسلمين ترى النص قد بين أن الحلية هي بالطيبات من الطعام والتي احلها الله لعباده وكانت تمتاز بطيبها لا خبثها بعيدة عن مواطن النجس والخروج عن المألوف أو يستقبح منها شيئا من الصفات او الخلال، فكان الرزق الحلال الذي شرعه الله وهومعروف للعباد ولديهم ذاكرة تستقبل كل ما هو مباح لنفوسهم وكل ما منعه القرآن عنهم وما افاض الله على العباد من

(١) – ينظر: الميزان في تفسير القرآن:١/ ٤٢٦ .

منظور الرسول الاكرم(صلى الله عليه وآل وسلم) الذي بعثها لعلة أو لغاية وجدها متحققة في تلك الطيبات .

وظهرت الذاكرة الذوقية في قوله ﴿﴿**فَأَكَلا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى**﴾﴾ (طه:١٢١)استعمال الذاكرة الحسية الذوقية في قوله تعالى تظهر في جملة {فأكلا منها} أي أكل آدم و حوّاء من الشجرة على وجه الخطأ في التأويل لا تعمّدا في المعصية إذ الأنبياء(عليهم السّلام) لا يقمون بالمعصية، و هم أشدّ خوفا من الله أن يفعلوا ذلك؛ لأنّ بعض المفسّرين قال: ((إن الله تعالى أشار بالنّهي إلى شجرة بعينها، فقال له: لا تأكل من هذه الشجرة، وأرادوا جنس تلك الشجرة، فنسي آدم الاستدلال بذلك على الجنس، فحمل النهي على العين)) [١]، فلمّا ذاقاها بدت لهما سوآتهما.

و الذّوق إدراك طعم المأكول أو المشروب باللّسان، و هو يحصل عند ابتداء الأكل أو الشّرب، و دلت هذه الآية على أن بدوّ سوءتهما حصل عند أوّل إدراك طعم الشّجرة، دلالة على سرعة ترتّب الأمر المحذور عند أوّل المخالفة، و هذه أوّل وسوسة صدرت عن الشّيطان. و أوّل تضليل منه للإنسان. و قد أفادت (لما) توقيت بدوّ سوآتهما بوقت ذوقهما الشّجرة، لأنّ (لما) حرف يدل على وجود شيء عند وجود غيره، فهي لمجرّد توقيت مضمون جوابها بزمان وجود شرطها، فقوله تعالى: فَلَمَّا ذاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُما سَوْآتُهُما لا يدلّ على أكثر من حصول ظهور السوآت عند ذوق الشّجرة، أي أنّ الله جعل الأمرين مقترنين في الوقت، و لكن هذا التّقارن هو لأن الأمرين مسبّبين عن سبب واحد، و هو خاطر السوء الذي نفثه الشّيطان فيهما، فسبب الإقدام على المخالفة للتّعاليم الصّالحة، و الشّعور بالنقيصة، فقد كان آدم و زوجه في طور سذاجة العلم، و سلامة الفطرة، شبيهين بالملائكة لا يقدمان على مفسدة و لا مضرة، و لا يعرضان عن

(١) –التفسير الكبير: تفسير القرآن العظيم:٤/ ٢٦٧ .

نصح ناصح [١] فالذاكرة قد بينت أنّ آدم قد تسى أو تناسى التحذير الرباني الذي ذكر له، فالشجرة كانت هي المانع الأصل الذي وضع لآدم وزوجته إذا أرادا أن يستمر تواجدهما في جنة الرب وفي ضيافته، وكانت هي الاساس الذي يحقق الاستمرارية لهما في العيش في النعيم ولكن الذاكرة قد خانتهما فأقبلا على الخطيئة فخرجا من تلك الضيافة، ولم يتمكنا من ذكر التحذير بسبب الترغيب الحاصل لهما إذا ما تذوقاها ؛ الخلود في جنة الخلد .

وفي قوله تعالى ﴿﴿ **ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ (٥١) لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ (52) فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (53) فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ (54) فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ**﴾﴾ (سورة الواقعة:٥١-٥٥) تظهر الذاكرة الذوقية مكررة في مواضع ثلاث مرة للأكل من شجرة الزقوم، والثانية شرب الحميم، والثالثة : مجاز لشكل الشراب ؛ وهو شرب الهيم وهذا الأكل ((مِنْ شَجَرٍ منبته النار وهو مِنْ زَقُّومٍ أي شيء هو في غاية الكراهة و البشاعة في المنظر و نتن الرائحة و الأذى.. لأن الزقم: شوب اللبن و الإفراط فيه، يقال: بات يزقم اللبن زقما، و من هذا الزقوم الذي ذكره الله تبارك و تعالى، الزقوم شجرة غبراء صغيرة الورق لا شوك لها زفرة لها كعابر في رؤوسها و لها ورد تجرشه النحل، و نورها أبيض و رأس ورقها قبيح جدا، و هي مرعى، و منابتها السهل... يضطر آكله إلى التملؤ منه بنهمة و همة عظيمة، و من المعلوم أن الحامل له على هذا مع هذه الكراهة لا يكون إلا في أعلى طبقات الكراهة، ... فَمالِؤُنَ أي ملأ هو في غاية الثبات و أنتم في غاية الإقبال عليه مع ما هو عليه من عظيم الكراهة و لما كان من يأكل كثيرا يعطش عطشا شديدا فيشرب ما قدر عليه رجاء تبريد ما به من حرارة العطش، سبب عنه قوله: فَشارِبُونَ عَلَيْهِ أي على هذا المليء أو الأكل مِنَ الْحَمِيمِ* أي الماء الذي هو في غاية الحرارة بحيث ضوعف إحماؤه و إغلاؤه. و لما

---

(١) – ينظر:تفسير التحرير و التنوير:٨/ ٤٧ .

كان شربهم لأدنى قطرة من ذلك في غاية العجب، أتبعه ما هو أعجب منه و هو شدة تملئهم منه فقال مسببا عما مضى: فَشارِبُونَ أي منه شُرْبَ ... الْهِيمِ أي الإبل العطاش لأن بها الهيام و هو داء يشبه الاستسقاء جمع أهيم، و ... جمع هيماء و هو أي- الهيام- بالضم: داء يصيب الإبل فتشرب و لا تروى))[١] فالذاكرة تتساير في النص مع ما هو متوافر أمام اعين الناس، فما نقل من شجر الزقوم وشرب الحميم، وشرب الهيم، صور متلاحقة أمام الناس وهي في منظورهم الاجتماعي والحياتي المتداول، فتكاد تكون ماثلة أمام أعينهم عندما يوردها القرآن، ويُرهب العالمين فيها، فالمشاهد المتتابعة فيها من الالحاق بالعذاب، ما يجعل أنفاس المتلقي متلاحقة، وصور العذاب ماثلة امامها، تكاد تمر أمام عينيه، ولوجودها ضمن مداركه، فهي تحقق أثرها وأثر وسومها في شخوص القصة وفي مواطن ورودها، حتى مع ورودها الغيبي فأنّها تكاد تتميز ضمن مدارك الجميع .

ومنها أيضاً ما ورد في قوله تعالى ﴿﴿**كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ (٤٥) كَغَلْيِ الْحَمِيمِ (٤٦) خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلى سَواءِ الْجَحِيمِ (٤٧) ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذابِ الْحَمِيمِ (٤٨) ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ** ﴾﴾(الدخان: ٤٥-٤٩) ترد الذاكرة القرآنية الذوقية بفعل الأمر(ذق) الدال على الحاضر ولكنها تقصد المستقبل البعيد في يوم البعث والجزاء وفي الآية المباركة جملة من الدلالات أحدهم: ((أن يكون على طريق أحدهما النقيض، المعنى: ذق إنك أنت الذليل المهين، إلا أنه جاء على جهة الاستخفاف، الثاني: ذق العذاب إنك أنت العزيز في قومك الكريم عليهم، و ما أغنى عنك ذلك شيئا))[٢] وجوهًا الأول: أنه يخاطب بذلك على سبيل الاستهزاء، و المراد إنك أنت بالضد منه ، والثاني: ((أنّ أبا جهل قال لرسول الله (صلى الله عليه وآل وسلم): ما

---

(١) – نظم الدرر في تناسب الآيات و السور::٧/ ٤١٣ .

(٢) ينظر: النكت في القرآن الكريم في معاني القرآن الكريم و اعرابه: ٤٤٣ .

بين جبليها أعز و لا أكرم مني فو الله ما تستطيع أنت و لا ربك أن تفعلا بي شيئا و الثالث: أنك كنت تعتز لا بالله فانظر ما وقعت فيه)) [١]، من العذاب {يَوْمَ الدِّينِ}.

وبعد كلّ أنواع العذاب الجسمي هذه، تبدأ العقوبات الروحية و النفسية، فيقال لهذا المجرم المتمرد العاصي الكافر: ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ فأنت الذي كنت قد قيدت البؤساء فباتوا في قبضتك تظلمهم كيف شئت، و تعذبهم حسبما تشتهي، و كنت تظن أنّك قوي لا تقهر، و عزيز لا يمكن أنّ تهان و يجب على الجميع احترامك و تقديرك. أنت الذي ركبك الغرور فلم تدع ذنبا لم ترتكبه، و لا موبقة لم تأتها، فذق الآن نتيجة أعمالك التي تجسدت أمامك، وكما أحرقت أجسام الناس و آلمت أرواحهم، فليحترق الآن داخلك و خارجك بنار غضب الله و الماء المغلي الذي يصهر ما في بطونهم و الجلود[٢]. فالذاكرة الذوقية في النص قد تماهت ضمن ركب المفارقة فهي تحمل دلالة ظاهرة بالمدح ولكن سياقها الذي ترد فيه واسباب نزولها فيها اشارة إلى أشياء آخرى فالنص فيه من الاستهزاء بهذا الرجل (ابو جهل) ما فيه فعلى الرغم من كل التيه والاستكبار الذي جبلت عليه ذاته نراه ذليلا حقيرا مقتولا فوق أرض بدر على يد من كان عبدا له على يد من كان معذبا مستعبدا على يديه فالأيام قد دارت واستحكمت حلقاتها فاصبحت الدنيا عنه زائلة فلم يتبق للقوة والجاه والاستكبار شيء أو مقدار أو أثر .

ترسم ملامح الحاسة الذوقية ضمن مدارات الحقيقة والمجاز فهي تتحرك بينهما محققة للمتلقي افانين الاقناع فمرة نراها في خضم وصف ما سيتحصل عليه العبد في جنات خلد الرب، وأخرى ما سوف ينهال على روحه وجسده من عذاب في مدارك جهنم والحالتان متجذرتان في وعيه الجمعي فما هو بصد الحصول عليه محيط به ويراه، وأما

---

(١) – التفسير الكبير: ٦٦٣

(٢) – الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ١٦٢/١٦.

التذوق للأمور الغيبيه فهي تكاد ترسم لوحة حية تفرد المجاز بذكرها أخفاء البشاعة الذوق والمنظر فروعي بها أذواق المستمعين .

المبحث الخامس :الذاكرة الشمية

تفيد مادة((الشم الادراك والوعي لقولهم شم: إذا اختبر، ...وشاممتُ فلاناً إذا قاربته وتعرفتَ ما عنده بالاختبار والكشف))[١]ويتم الشم أثر استنشاق الروائح التي تثير خلايا الأنف العصبية، هذه الحاسة تحرك فينا مشاعر إيجابية وسلبية، من طمأنينة وانتعاش، ونفور وانزعاج، تفيد المصادر أنّ الرائحة كانت في قديم الزمان تقوم مقام المنارات وإشارات السير؛ إذ كان العرب يأمرون عبيدهم بإيقاد النار بالطيب مستعيضين بها عن نار القرى في الليالي المطيرة[٢]، حينئذ كان السراة يشمون رائحتها فيهتدون إليهم[٣]، امتازت هذه الحاسة بقلة ورودها في القرآن الكريم، فهي لم ترد إلا في مواضع بخلاف الحواس الأخرى

ومن المواضع التي ترد فيها هذه الحاسة مصاحبة بالذاكرة قوله تعالى: ﴿﴿**وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ (٩٤) قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ (٩٥) فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾﴾ (يوسف: ٩٤).

تتمايز الذاكرة الشمية في الآية المباركة فتبرز بقوله (عليه السلام) لأجد ريح يوسف أي أشمه و((عبر عنه بالوجود لأنّه وجدان له بحاسة الشم))[٤] و ((وجدان يعقوب ريح يوسف (عليهما السّلام) إلهام خارق للعادة جعله الله بشارة له إذ ذكره بشمه الريح الذي

---

(١) – لسان العرب:١٢/ ٢٣٥-٢٣٦.

(٢) – ينظر: سرور النفس بمدارك الحواس الخمس: ٣٧٩ .

(٣) – الغيث المسجم في شرح لامية العجم :١/ ٣٧٩ .

(٤) – التفسير الكبير:١٨/ ٥٠٨.

ضمّخ به يوسف (عليه السلام) حين خروجه مع إخوته و هذا من صنف الوحي بدون كلام ملك مرسل، وهو داخل في قوله تعالى: ﴿وَما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً﴾ (سورة الشورى: ٥) والريح: الرائحة، وهي ما يعبق من طيب تدركه حاسة الشم))[١] ويرى بعضهم ((أنّ هذا القميص كان في قصبة من فضّة معلّقا في عنق يوسف فلمّا نشره فاحت روائح الجنان في الدنيا فاتصلت بيعقوب، فعلم أنّ الرائحة من جهة ذلك القميص))[٢] ويبدو أن النفس المتلهفة للنبي يعقوب (عليه السلام) قد جعلت جوهرة قد تلطف وأصبحت جميع حواسه تقوى ويزيد إدراكها، ((ولعل من تزايدت لطافته يدرك رائحة ما لا رائحة له من الروائح المعتادة، كما قال الله تعالى حكاية عن يعقوب إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ و هذه الحاسة مخصوصة بأهل الكشف لا بغيرهم من الناس))[٣] وهذا ما تحصل مع نبي الله، فقد تنشق رائحة ولده الفقيد من مسافة أميال؛ لأنّه كان متأكدا من سلامته، وكان تواقًا إلى لقياه في يوم من الأيام مهما دارت وتباعدت المواقع والبلاد، والذاكرة هنا وصفت هذا الفعل الغريب من نبي الله على مشاهد من يحيط به من القوم، ما خلا ابناءه الذين كانوا في مصر، فتكلم متيقنا على الرغم من تاكده التام من سخريتهم منه؛ ولكنه كان واثقًا من أن ما تلقفته حاسة شمه لهو ريح من يوسف (عليه السلام)، فكان هو المصدق على ماذكر وكان كلامه هو الأدق.

ونجد الذاكرة الشمية أيضاً في قوله تعالى: ﴿**يسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ (٢٥) خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ (٢٦) وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ**﴾ (المطففين :٢٦) تظهر الذاكرة الشمية متمثلة في قوله (خِتَامُهُ مِسْكٌ)؛ ((وقيل خِتامُهُ مِسْكٌ مقطعه رائحة مسك إذا شرب. وقيل: يمزج بالكافور، ويختم مزاجه بالمسك. ما يختم

---

(١) – تفسير التحرير والتنوير: ١٢/ ١١٥.

(٢) – زاد المسير فى علم التفسير: ٢/٤٧٠.

(٣) – تفسير روح البيان:٤/ ٣١٦.

به))[١].ويذهب بعضهم إلى أنه ((ختم اناؤه بالمسك بدل الطين الذي يختم بمثله الشراب في الدنيا وقيل (خاتمه) مسك أراد آخر شرابه مسك؛ و المسك معروف، و هو أجل الطيب سمي مسكاً، لأنه يمسك النفس لطيب ريحه))[٢] إذا رفع الشارب فاه من آخر شرابه[٣].

والرحيق صافي الخمر وخالصها و المعنى يسقون فى الجنة من شراب خالص لا غشّ فيه ولا ما يكرهه الطبع ولا شيء يفسده وأيضاً صاف عن كدورة الخمار و تغيير النكهة وايراث الصداع، يطبع به مِسْكٌ امر الله بالختم عليه إكراما لاصحابه فختم و منع أن يمسه ماس أو تتناوله يد إلى أن يفك ختمه الأبرار؛ إنّه تمثيل لكمال نفاسته[٤] فالذاكرة الشمية قد أخذت بعض ملامحها من ذاكرة القوم وختمهم لقدور الطيب بالطين حفظا لها من التلف والعبث، وختام خمر الجنة كان من المسك، لايفتح الا بيدي الأبرار والصالحين ممن وهبهم الله رحمته ومن عليهم بجميل نعمه.

ووردت الذاكرة الشمية في قوله تعالى ﴿﴿**فَرَوْحٌ وَرَيْحانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ**﴾﴾ (الواقعة ٨٩) فالذاكرة الشمية تتوارد في قوله (**وَرَيْحانٌ**) والريحان ((هُوَ الرَّيْحَانُ الْمَعْرُوفُ الَّذِي يُشَمُّ))[٥] وقيل أنه ((غصن من ريحان الجنة))[٦] يستنشقه المؤمن ((عند قرب موته ويذهب بعضهم أن كل نبات طيب الريح، فهو ريحان))[٧]، وقيل ((هو الرزق، أو يقال

---

(١) – تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: 723/٤.

(٢) – التبيان في تفسير القرآن::٣٠٣/١٠.

(٣) – مجمع البحرين:٥٣/٦.

(٤) – تفسير روح البيان: ١٠/ ٣٧١.

(٥) – الجامع لاحكام القرآن:٢٣٢/١٧–٢٣٣.

(٦)– جامع البيان فى تفسير القرآن: :٢٧/ ١٢٢.

(٧) –التبيان في تفسير القرآن: :٩/ ٥١٤ .

للحبّ المأكول لأنه يسمى ريحانا))[١]، فالذاكرة تتماهى في المشهد الختامي قبل صعود الروح وانتزاعها من الجسد في هذه اللحظة الدرامية بين تعلق الروح بالجسد ونظره العين نحو الأهل والولد، تنتشر في مدار الروح هبة ريح مكللة بعطر فواح يأخذ بنفس المؤمن ويملؤها غبطة وحبور؛ لأنّها قد أمنت بالله وتتبعت أوامره.

تمازج حضور الذاكرة الشمية في مواضعها كلّها بالنعم والهبات الربانية، فلو تتبعنا النصوص الواردة على الرغم من قلتها نراها لا تخرج عن منظور النعم المتلاحقة، فالمسك والريحان، وقميص يوسف، وريح الجنة المنتشر منها، كلّها من نعم الله تبارك وتعالى ولم ترد في مواضع السوء ألبتة بحسب استقراء الباحثة للنص المدروس .

(١)- بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز:٣/ ١٠٣.

الفصل الثاني

الأساليب اللغوية التركيبية وأثرها في تحقيق الذاكرة

المبحث الأول :الاستفهام

المبحث الثاني :الشرط

المبحث الثالث :الحذف

المبحث الرابع :النهي

المبحث الخامس :النداء

المبحث السادس :النفي

توطئة

الأساليب : هو ((مجموعة الطاقات الإيحائية في الخطاب الأدبي))[١]، والمنوال الذي تنسج فيه التراكيب، والقالب الذي تفرغ فيه، والأسلوب يرجع إلى صورة ذهنيَّة للتراكيب المنتظمة كلياً باعتبار انطباقها على تركيب خاص[٢]، وبذلك يصبح كالمظهر المادي لإنتاج الأديب، والصلة بينه وبين المخاطبين، ينقل الأديب من خلاله أفكاره إلى المتلقي عن طريق صوغها في جمل وعبارات، روعي فيها تحقيق ما ينبغي من صياغة الصور الجزئية[٣]

تحاول الباحثة في هذا الفصل تتبع أهم العناصر التركيبية المكونة للغة والتي توشحت بمنظورها العام بجلبة نحوية مقترنة بروح المجاز أي التي تشترك في أنها تابعة لعلمي (النحو، والبلاغة) فتأخذ من الأول اسم المصطلح وطريقة التركيب، ولكنها تخترق دلالته المثالية لتعطي دلالة جديدة، مقترنة بذاكرة قرآنية واهم هذه الأساليب :

(١) الأسلوب والأسلوبية ؛ نحو بديل ألسني في النقد الأدبي : ٩٠ .

(٢) ينظر / مقدمة ابن خلدون : ٥٧٠ – ٥٧١ .

(٣) ينظر / النقد الأدبي الحديث : ١٧٣ .

المبحث الأول : الاستفهام :

الاستفهام في اللغة هو ((طلب الفهم، "واصطلاحًا": طلب العلم بشيء بواسطة أداة من أدواته، وهي إحدى عشرة)) [١]أداة، ويعد الاستفهام من أساليب البلاغة في اللغة العربية، وهو أنشاء طلبي يطلب به القيام بشيء مجهول لدى السائل، وهذا الطلب يأتي لأمرين هامين إما للتصديق أو للتصور، فطلب التصديق هو حكم على الماهية، ويجاب عنه بـ "نعم" أو "لا" وطلب التصور يقع على طرف واحد من الجملة، الذي هو معرفة ماهية المسئول عنه، ويجاب عنه أيضاً بـ "نعم" إيجاباً أو "لا" سلباً، ، إذن الاستفهام هو ((طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل وذلك بأداة من احدى ادواته))[٢].

وللاستفهام أدوات كثيرة ذكرت في كتب النحو والبلاغة، إذ اشتمل على حرفين وهما: "الهمزة وهل" و أحد عشر أسماً وهي: "كيف، ماذا، ما، متى، أي، كم، من ذا، من، أين، أنى، إيان" وتستعمل هذه الأدوات كلها بأشكال مختلفة مع الأفعال والأسماء والحروف فيطلب بها التصور والتصديق أو التعيين مع الهمزة أو مع أم، وقد يخرج أسلوب الاستفهام إلى عدة أغراض مجازية عديدة منها :التوبيخ، الإنكار، النفي، التعظيم، التعجب، التحقير، التمني، الأمر.

وقد نجد أسلوب الاستفهام في القران الكريم في آيات عدة محملة بالذاكرة بأنواعها المختلفة من ذلك قوله تعالى ﴿﴿ **أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ**

---

(١)المنهاج الواضح للبلاغة:٢/٩٥.

(٢) – جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع:٨٩ .

أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾﴾ (البقرة: ٢٥٩) فالآية المباركة في صدد الحديث الذي دار في خلد (عزير) بعد أن رأى القرية الخاوية التي دمرت فأصبحت فارغة من مظاهر الحياة فتساءل متعجبا عن مقدار القدرة المتطلبة لأعاده احيائها (أَنَّى يُحْيِي هذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِها) فأماته، ثم أراه نظير ما استنكر من إحياء القرية التي مر بها بعد مماتها عيانًا من نفسه و طعامه و حماره، فحمل تعالى ذكره ما أراه من إحيائه نفسه و حماره مثلا لما استنكر من إحيائه أهل القرية التي مر بها خاوية على عروشها، و حمل ما أراه من العبرة في طعامه و شرابه عبرة له و حجة عليه في كيفية إحيائه منازل القرية و جنانها، وكل ذلك ماثل أمام عينيه ((وَ انْظُرْ إِلَى الْعِظامِ} و انظر إلى العظام التي تراها ببصرك كيف ننشؤها، ثم نكسوها لحما، و قد كان حماره أدركه من البلى في قول أهل التأويل جميعا نظير الذي لحق عظام من خوطب بهذا الخطاب، فلم يمكن صرف معنى قوله: وَ انْظُرْ إِلَى الْعِظامِ إلى أنه أمر له بالنظر إلى عظام الحمار دون عظام المأمور بالنظر إليها، و لا إلى أنه أمر له بالنظر إلى عظام نفسه دون عظام الحمار. و إذا كان ذلك كذلك، و كان البلى قد لحق عظامه و عظام حماره، كان الأَولى بالتأويل أن يكون الأَمر بالنظر إلى كل ما أدركه طرفه مما قد كان البلى لحقه ؛لأَن الله تعالى ذكره جعل جميع ذلك عليه حجة و له عبرة و عظة. .. و إنما عنى بقوله: وَ لِنَجْعَلَكَ آيَةً و لنجعلك حجة على من جهل قدرتي، وشك في عظمتي، و أنا القادر على فعل ما أشاء من إماتة و إحياء، و إنشاء، و إنعام و إذلال، و إقتار و إغناء، بيدي ذلك كله، لا يملكه أحد دوني، و لا يقدر عليه غيري))[1]، فالذاكرة وفق دواعي الاستفهام قد رسمت تصورا كاملا وحجة لا تدحض أمام ناظري عزير مع توالي الاستفهامات فيها حتى يكون الأخير متأهبا للجواب وأي جواب والصورة ترسم أمامه والآية الربانية وجواب لسؤاله قد تأخر مئة سنة

([1]) – جامع البيان فى تفسير القرآن: :٣/ ١٩ .

يتحقق أمامه والبعث والنشور يطبق أمام ناظريه ليكون للناس آية وليكون هو الجواب لكل من هو في مدار الشك وعدم اليقين بهذا المأل في صيرورة الأمر يومئذ لله رب العالمين صاحب القدرة والمتمكن في تحقيق الأمور والواهب لكل الخيرات لعباده جميعا .

وترد الذاكرة أيضاً في قوله تعالى ﴿﴿**وَنَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ**﴾﴾ (الأعراف: ٤٨) فالذاكرة تذهب مستقبلا لتحيل إلى ما سوف يحدث عند حشر القوم إلى الحساب فينادي أصحاب الأعراف ثم ينادي أصحاب الأعراف و هم الأنبياء و الاوصياء أهل النار مقرعين لهم ((ما أَغْنى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَما كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ أَهؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ يعني هؤلاء المستضعفين الذين كنتم تحقرونهم تستطيلون بدنياكم عليهم ثم يقولون لهؤلاء المستضعفين عن أمر من الله لهم بذلك ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ فهؤلاء الرجال الذين هم على الأعراف يعرفون جميع الخلق بسيماهم يعرفون أهل الجنة بسيماء المطيعين وأهل النار بسيماء العصاة))[١] ويعرفون ((رجالا من رؤوس الكفرة يقولون لهم أَهؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لا يَنالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ إشارة لهم إلى أهل الجنة، الذين كان الرؤساء يستهينون بهم ويحتقرونهم لفقرهم وقلة حظوظهم من الدنيا، وكانوا يقسمون أن الله لا يدخلهم الجنة ادْخُلُوا الْجَنَّةَ يقال لأصحاب الأعراف ادخلوا الجنة وذلك بعد أن يحبسوا على الأعراف وينظروا إلى الفريقين ويعرفوهم بسيماهم ويقولوا ما يقولون))[٢].

فالاستفهام المجازي هو بؤرة النص وهو ميدان الذاكرة الفاصلة بين أقوال أهل الإيمان وأهل الشرك، واجتماعه مع الذاكرة في الآية المباركة قدم للنص ما جعله شاملا حازما في دلالة الحساب وأثره في نفوس الخلق، فهم أمام لوحة ربانية قسمت فيها الخلق

---

(١) – مجمع البيان في تفسير القرآن: ٤/ ٦٥٢

(٢) – تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: ١٠٧/٢.

وأصبحوا قبل أن يساقوا لبيان حقيقة مثواهم الأخير وخلودهم أما في جناد الخلد أو في جحيم مقيم، يرتسم المشد أمامهم في حساب حق يقسم فيه الخلق بين كافر منافق وبين مؤمن قد صدق بالله وبتعاليمه كلها فأصبح شاهدا على الخلق متكلما وموبخا لهم على ما اقترفته أيديهم من ظلال واذى.

ومنها أيضاً ما يرد في قوله تعالى في ذاكرة متحققة بعد حين: ﴿﴿**هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ**﴾﴾ (الاعراف ٥٣) ((أي يقول الذين نسوه من قبل يوم يأتي تأويله. (قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء) استفهام فيه معنى التمني فهؤلاء القوم قد بين تعالى إنهم (نسوا يوم القيامة يقولون: قد جاءت رسل ربنا بالحق والمراد أنهم أقروا بأن الذي جاءت به الرسل من ثبوت الحشر والنشر والبعث والقيامة، والثواب، والعقاب، كل ذلك كان حقا، وإنما أقروا بحقيقة هذه الأشياء؛ لأنّهم شاهدوها وعاينوها وبين الله تعالى أنهم لما رأوا أنفسهم في العذاب قالوا: فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل والمعنى أنه لا طريق لنا إلى الخلاص مما نحن فيه من العذاب الشديد إلا أحد هذين الأمرين وهو ان يشفع لنا شفيع فلأجل تلك الشفاعة يزول هذا العذاب أو يردنا الله تعالى إلى الدنيا حتى نعمل غير ما كنا نعمل يعني نوحد الله تعالى بدلا عن الكفر ونطيعه بدلا عن المعصية))[١] فالاستفهام كان مقدرا بين التمني والرجاء في العودة للحياة مرة أخرى عسى أن يحقق الخلق مبتغاهم ويعملوا صالحا، ولكن هيهات فالأمر قد كتب، والحساب قد وقع ،والحياة قد أعطت ما فيها، وتبخر عطرها، وأصبح الإنسان أمام أمر

---

(١) – التفسير الكبير:١٤/ ٢٥٤.

واقع لا محالة فكل شيء قد زال ،والخلود هو المآل؛ أمّا أن يكون الذهاب إلى خلد النار أو إلى جنة مقدار عرضها سبعون الف عام .

وورد الاستفهام وهو في صدد الرجوع بالذاكرة الي الخليقة الأولى وأول أربعة على بقاع المعمورة من جنس البشر في قوله تعالى ﴿**فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٣٠) فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ**﴾ (المائدة ٣٠-٣١) خرج الاستفهام للتعبير عن الندم إنّ قابيل ((رأى إكرام الله لهابيل بأن قيض له الغراب حتى واراه، ولم يكن ذلك ندم توبة، وقيل: إنّما ندمه كان على فقده لا على قتله، وإن كان فلم يكن موفيا شروطه. أو ندم ولم يستمر ندمه، فقال ابن عباس: ولو كانت ندامته على قتله لكانت الندامة توبة منه))[1] فكلمة يا وَيْلَتى كلمة تحسر و تلهف، و في الآية احتمالان ((الأول: أنه ما كان يعلم كيف يدفن المقتول، فلما تعلم ذلك من الغراب علم أن الغراب أكثر علما منه و علم أنه إنما أقدم على قتل أخيه بسبب جهله و قلة معرفته، فندم و تلهف و تحسر على فعله. الثاني: أنه كان عالما منه بكيفية دفنه، فإنه يبعد في الإنسان أن لا يهتدي إلى هذا القدر من العمل، إلا أنه لما قتله تركه بالعراء استخفافا به، و لما رأى الغراب يدفن الغراب الآخر رق قلبه و قال: إن هذا الغراب لما قتل ذلك الآخر فبعد أن قتله أخفاه تحت الأرض، أفأكون أقل شفقة من هذا الغراب، و قيل: إن هذا الغراب جاء و كان يحثي التراب على المقتول، فلما رأى أنّ الله أكرمه حال حياته بقبول قربانه، و أكرمه بعد مماته بأن بعث هذا الغراب ليدفنه تحت الأرض علم أنه عظيم الدرجة عند الله فتلهف على فعله، وعلم أنه لا قدرة له على التقرب إلى أخيه إلا بأن يدفنه في الأرض، فلا جرم قال: يا ويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا

([1]) – تفسير القرطبي:٦/١٤٢.

الغراب))[١] .فشخوص القصة الثلاث القتيل والقاتل والغراب قد وضعوا اللبنة الأولى لاحد أسس التكريم للإنسان وهي ارجاعه إلى مكان وأصل خلقه، فالقصة بشخوصها رسمت بكيفية ربانية اعادتها الذاكرة القرآنية لتصور أصل الشر وبداية المطلق الذي زرع في أرض الرب ففي عمل قابيل قد قتل ربع من كان على الأرض، ومع ندمه الذي كان سببه كما قيل حمله على ظهرة لمدة عام وعدم هدايته إلى طريقة الدفن متأخرا بعد أن وجد أحد مخلوقات الله الحقيرة بحجمها والمشؤومة بطبعها ولونها الدال على الحداد في كل ما آلاته تقدم لقابيل تعازيها في أخيه وترشده إلى الفعل الصحيح في العمل ارتسمت مباني الندم على كلّ ما تقدم ،وعلى ما نمى في خلد من تكبر طار سراعا مع الوقت فبعد أن هدأت ثائرته نراه يتكلم متعجبا متسائلا (أعجزت) فكانت الكلمة التي رسمت مساره اللاحق في إصلاح بعض الخطأ الذي اقترفه وهو دفت أخيه لا تركه في العراء مكشوفا لوحوش الفلا وضواريه .

وفي قوله تعالى ﴿ **وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ** ﴾ (الأنعام ٣٠) وذكر أهل التفسير ((ولو ترى إذ وقفوا على ربهم، أي: على حكمه وقضائه ومسألته، وقيل: عرضوا على ربهم، قال لهم، وقيل: تقول لهم الخزنة بأمر الله، أليس هذا بالحق؟ يعني: أليس هذا البعث والعذاب بالحق؟ قالوا بلى وربنا إنه حق، قال ابن عباس: هذا في موقف، وقولهم والله ربنا ما كنا مشركين في موقف آخر، والقيامة مواقف، ففي موقف يقرون، وفي موقف ينكرون، قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون))[٢]. اي إن الاستفهام في هذا الموضع خرج لتذكير هؤلاء ببطلان دعواهم وتأكيد معرفتهم بأن هذا الأمر من الدعوة هو الحق. فهؤلاء بعد أن عرفوا

---

(١) – التفسير الكبير: ١١/ ٣٤١

(٢) – معالم التنزيل في تفسير القرآن:٢/١١٩.

إن ما وعدهم ربهم من العذاب الذي يفعله بالكفار في الآخرة و الثواب الذي يفعله بالمؤمنين، و عرفوا صحة ما كان أخبرهم به من الحشر و الحساب. و قال لهم ربهم عند مشاهدتهم و وقوفهم عليه «أَلَيْسَ هذا بِالْحَقِّ؟ قالُوا بَلى وَرَبِّنا» مقرين بذلك مذعنين له و إن كانوا قبل ذلك في الدنيا ينكرونه، قال حينئذ «فَذُوقُوا الْعَذابَ بِما كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ» بذلك[١] فالذاكرة المستقبلية في النصوص القرآنية تتحقق ضمن مدار الاستفهام فبعد الإجابة التي تكون على سبيل التقرير بصحة ما قيل لهم واجابتهم الحقيقية على أن ما كانوا يحذرون منه من طائلة العذاب قد حصلت وإن العذاب مشرع امامهم وابواب النار قد فتحت وهي بأتونها تتلظى، اجابوا بصدق وندم ولات ساعة مندم فالذاكرة تتوارد في النص في موضعين الاولى ذاكرة قديمة تحققت في عقولهم مستقبلا بعد أن رأوا حقيقة العذاب وذاكرة ما سيشاهدوه أمام أعينهم من أذى وعذاب يكاد يتلقفهم نكالا بما عملوه قديما من موبقات وأذى وخروج عن الطريقة السمحاء.

وفي قوله تعالى: ﴿**فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا**﴾ (مريم ٢٩) تنطلق الذاكرة في الحديث عن اللقاء المقترب بين مريم (عليها السلام) وقومها وكيف رجوعها وهي حاملة للولد على حجرها دون زواج فدخلت في خلدهم ركب الخيانة ((أنهم لما بالغوا في توبيخها سكتت وأشارت إليه أي إلى عيسى عليه السلام أي هو الذي يجيبكم إذا ناطقتموه))[٢]، فهي فى الظاهر أشارت إلى الولد، و فى الباطن أشارت إلى الله، فأخذهم ما قرب و ما بعد و قالوا: كيف نكلّم من هو أهل بأن ينوّم فى المهد ف «كانَ» هاهنا فى اللفظ صلة.. و حملوا ذلك منها على الاستهانة بفعلتها... لما قالوا ذلك أنطق الله عيسى حتى قال: إنى عبد الله، فظهرت براءة ساحتها بكلام عيسى قبل أن يتكلم مثله.

---

(١) – ينظر:التبيان في تفسير القرآن:٤/ ١١٢.

(٢) – التفسير الكبير: الفخر الرازي، :٢١/ ٥٣٠.

و جرى على لسانه حتى قال ((إنى عبد الله؛ ليقال للنصارى إن صدق عيسى أنه عبد الله بطل قولكم إنه ثالث ثلاثة، و إن كذب فالذى يكذب لا يكون ابنا لله، و إنما يكون عبدا لله، و إذا لم يكن عبد هواه، و لا فى أسر شىء سواه فمن تحرر من غيره فهو فى الحقيقة عبده. و«آتانِيَ الْكِتابَ»: أي سيؤتينى الكتاب أو آتاني فى سابق حكمه.«وَ جَعَلَنِي نَبِيًّا» بفضله. و فى الآية ردّ على من يقول إن النبوة تستحقّ بكثرة الطاعة لأنه قال ذلك فى حال ولادته؛ و لم تكن منه بعد عبادة و أخبر أن الله جعله نبيا))[١] .

وإما سبب عدول مريم ﷺ إلى الإشارة فلأنها لا تكون إلا ((بقصد المشير بذلك أنه يشير، لا من جهة المشار إليه، و الإشارة إيماء، تبلغ ما لا يبلغ الصوت؛ لأنّ البعد الذي فيه، كون الأغيار حاضرين، فأشارت إليه متكلة عليه، فبرأتها شهادته مما قيل، و تلي ذلك في كل جيل، في قرآن و زبور و توراة و إنجيل و حكم بأن النبوة بالجعل لئلا يتخيل أن ذلك بالذات، بل هو اختصاص إلهي))[٢] .

ففي النص ذاكرتان اجتمعتا معا وحققتا المبتغى المراد منهما فبدأت بالذاكرة البصرية معتمدة على الإشارة إلى نبي الله هو من سيقوم بالأجابة عن كلّ ما لديهم من أسئلة، والثانية الذاكرة السمعية التي ظهرت واخرجت القوم من سباتهم ومن غلوائهم فما أن نطق عيسى (ﷺ) وخالف المتوقع والممكن حتى بهت القوم وانتفت لديهم كلّ المسبقات وذهبت أراجيفهم وما رسموه لمريم وصغيرها من مستقبل مخيف فكانت اول بوادر انتصارها على حفنة من المتحكميين بمقادير الناس، وكانت معجزة ماثلة أمامهم جمعت في مظانها كثيرا من الاجابات المرئية والمسموعة وكان اللقاء أمام أعين الكل فأصبح

(١) – لطائف الإشارات: :٢/ ٤٢٦.

(٢) –رحمة من الرحمن فى تفسير و اشارات القرآن :٣/ ٤٧ .

عيسى (عليه السلام) بحكم الأمر هو المرسل الجديد لبني إسرائيل وهو القيم القادم للدين الالهي والمرسل المكمل لرسالة موسى (عليه السلام) والمبشر برسالة محمد o .

وترد الذاكرة البصرية أيضاً وهي ترتسم حول بؤرة الاستفهام في قوله تعالى ﴿**قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ**﴾ (البقرة ٦٩) فهم بدء بالسؤال لتحقيق مطلب الرسول(صلى الله عليه وآل وسلم) ولم أساس سؤالهم كان هو المماطلة ((ومع ذلك لم يرتدعوا عن السؤال عن لونها، قال إنه يقول إنها بقرة صفراء))[١] فالاستفهام يمكن أن يكون غرضه التعجب وطلب الاستدلال، ونفى عنها الاستهزاء لعدم حصول العقوبة[٢] ويمكن أن يكون الغاية منه هي التقرير لا غير فالموطن هو موطن واقعي وفيه جريمة قد ارتكبت وقوم يطالبون بالثأر للقتيل فالأمر كان بحاجة إلى إعمال الفكر وعدم النزوع إلى أي أمر قد يسبب فتنة للقوم وحاشا رسول الله(صلى الله عليه وآل وسلم) أن يعمل ذلك، فاضطر نبي الله إلى أن يفصل في كلّ أمر فأوضح ما هي و ما لونها و هم مع ذلك لم يرضوا به، و أعادوا كلامهم الأول، من غير تحجب وانقباض، فأجابهم ثانيا بتوضيح في ماهيتها ولونها فلما تم عليهم البيان و لم يجدوا ما يسألونه قالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِ قول من يعترف بالحقيقة بالإلزام و الحجة من غير أن يجد إلى الرد سبيلا، فيعترف بالحق اضطرارا، و يعتذر عن المبادرة إلى الإنكار بأن القول لم يكن مبينا من قبل، و لا بينا تاما، و الدليل على ذلك قوله تعالى: (فَذَبَحُوها وَ ما كادُوا يَفْعَلُونَ) [٣] فكانت المحاورة بالذواكر المتعددة قد اسهمت في نهاية الأمر في رسم مجموعة من الصور فذاكرة القصة بينت ما جبل عليه

---

(١) – البحر المحيط في التفسير: ١/ ٤٠٨.

(٢) ينظر – البحر المحيط في التفسير: :١/ ٤٠٦.

(٣) – ينظر: الميزان في تفسير القرآن: :١/ : ١٩٨ .

هؤلاء القوم من تعنت وشدة، وعدم التصديق بالكلام الاول للرسول، والأمر الآخر أن الله قد وجد لهم الحلول من محيطهم المجتمعي ولكنهم يتطلبون الأصعب فصعب الله عليهم كلّ شيء معيشتهم وحلول احكامهن وتركهم في الارض دون ان يجتمع لهم قرار أو موطن فضلا عن إن أمرهم قد انزاح إلى البقرة في هذا الموضع اشارة ضمنية إلى ما عبدوه سابقا فذبحها في هذا الموضع هو مدلول على اقصاء أي ثائرة للعودة إلى عبادة هذا الحيوان كما فعلوا سابقا.

حقق الاستفهام في المواضع التي وردت فيها الذاكرة بؤرة دلالية متعددة فهو في طلبه الاجابة عن سؤال متعدد التأويلات قد أسهم في توسع أفق الدلالة، كما اسهم في رسم مسارات للقصص التي ورد فيها، فكل الاجابات هي اجابات متظمنة فيها من الأقوال الكثير، ومن العبر اكثر فتحت أمام لوحة ترسم بدقة وبريشة فنان وكل شخص فيها له دور مكمل للآخر ضمن بنية الاستفهام ومن ثم النص.

المبحث الثاني: الشرط

الشرط: وهو معنى متداول معروف، والجمع منه شروط وذكر الصغاني ((وفي المثل: الشرط أملك عليك أم لك، يضرب في حفظ الشرط يجرى بين الإخوان(...) وقد شرط عليه كذا يشرط ويشرط. وشرطا النهر: شطاه. وشرط الحاجم يشرط ويشرط: إذا بزغ. والشرط؟ بالتحريك-: العلامة. وأشراط الساعة: علاماتها، قال الله تعالى: (فقد جاء أشراطها) أي علاماتها. والشرط - أيضاً -: رذال المال كالدبر والهزيل وقال أبو عبيد: أشراط المال: صغار الغنم وشرارها))[١]

الشرط اصطلاحا:

الشرط ((هو ما يقتضي وجوده وجود المشروط، ولا يقتضي عدمه عدمه))[٢]. وهو أيضاً ((تعليق شيء بشيء، بحيث إذا وجد الأول وجد الثاني. وقال الراغب: كل حكم متعلق بأمر يقع لوقوعه، وذلك الأمر كالعلامة))[٣]. والشرط عند النحاة: ((هو ترتيب وقوع أمر على وقوع أمر آخر بواسطة أداة ملفوظة))[٤]. والشرط اللغوي: ((ما يلزم من وجوده وجود المشروط، ولا يلزم من انتفائه انتفاؤه الجواز وقوعه بسبب آخر))[٥]. وللشرط جملة من الأدوات تقسم على قسمين: **ادوات الشرط الجازمة:** تقسم أدوات الشرط الجازمة إلى حروف وأسماء، فالحروف هي: (إن، وإذما) وبقيتها اسماء وهي: (من، ومَا، أيان، ومتى،

---

(١) - العباب الزاخر واللباب الفاخر :مادة (شرط)

(٢) - الكليات:٣/٦٥.

(٣) - التوقيف على مهمات التعاريف:٢٠٣.

(٤) - محيط المحيط، بطرس البستاني، مادة(شرط).

(٥) - اعلام الموقعين:٣/ ١٢٣.

وأنى، وأين، حيثما، كيفما، وأي).و **أدوات الشرط غير الجازمة:** هي (إذا، لو، لولا، لوما، لما، كلما).

عند تتبع الموارد التي يرد فيها الشرط متضمنا ذاكرة متشحة بعلامة سيميائية قوله تعالى ﴿﴿**وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ**﴾﴾ (الروم ٣٣) فالذاكرة تتوارد في النص في موضعين إحداهما ذاكرة لمسية (مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ) والأخرى ذوقية (أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَة) وتجمعهما أداة الشرط (إذا) والمقصود إنهم لا يؤمنون إلا لوقت محدد فإذا أصابهم أي عارض يرجعون إلى سابق عهدهم ، و إذا مس هؤلاء المشركين الذين يجعلون مع الله إلها آخر ضر، فأصابتهم شدة و جدوب و قحوط دَعَوْا رَبَّهُمْ وأخلصوا لربهم التوحيد، وأفردوه بالدعاء والتضرع إليه، واستغاثوا به منيبين إليه، تائبين إليه من شركهم وكفرهم ثُمَّ إِذا أَذاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً يقول: ثم إذا كشف ربهم تعالى ذكره عنهم ذلك الضر وفرجه عنهم وأصابهم برخاء وخصب وسعة، كفروا به، كفروا بما أعطيناهم [1] ((ومَسَ النَّاسَ تقوية لإرادة العموم إشارة إلى كل من فيه أهلية النوس وهو التحرك، من الحيوانات العجم والجمادات لو نطقت ثم اضطربت لتوجهت إليه سبحانه ولم تعدل عنه كما أنها الآن كذلك بألسنة أحوالها، فهذا هو الإجماع الذي لا يتصور معه نزاع ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ أي الذي لم يشاركه في الإحسان إليهم أحد في جميع مدة مسهم بذلك الضر – بما أشار إليه الظرف حال كونهم مُنِيبِينَ أي راجعين من جميع ضلالاتهم التي فرقتهم عنه إِلَيْهِ علما منهم بأنه لا فرج لهم عند شيء غيره، هذا ديدن الكل لا يخرم عنه أحد منهم في وقت من الأوقات، ولا في أزمة من الأزمات.. و هذا دليل على أن معرفة الرب في فطرة كل إنسان، و أنهم إن غفلوا في السراء فلا شك أنهم يلوذون إليه في حال الضراء. ولما كان كل واقع في شدة مستبعداً كل

---

(١) – ينظر: جامع البيان فى تفسير القرآن:٢١/٢٨.

استبعاد الخلاص منها قال: ثُمَ بأذاقة العبد إذا أَذاقَهُمْ مسندا الرحمة إليه تعظيما للأدب و إن كان الكل منه. ولما كان السياق كله للتوحيد، فكانت العناية باستحضار المعبود باسمه و ضميره أتم قال: مِنْهُ مقدما ضميره دالا بتقديم الجار على الاختصاص و أن ذلك لا يقدر عليه غيره، ورَحْمَةً أي خلاصا من ذلك الضر، إشارة إلى أنه لو أخذهم بذنوبهم أهلكهم، فلا سبب لإنعامه سوى كرمه))[١]

فمفردتا الضر والرحمة على سبيل المجاز فالضر بأشكاله كافة وبمختلف معانيه فمرة يكون في البدن أي مجسما كالمرض أو العارض أو ماسواهما، وأخرى يكون في الروح وهو الضرر المعنوي أي ما لا تجسيد له، وولدته الذاكرة في النص لأنّه ما يشاع أمام الملا في كل حين وزمان، والقصة حقيقة دائرة لا لبس فيها فما يرغب الإنسان بالعبادة الا بعد أن يرى صور الالم، ويتركها عندما يجنح به الزمان للراحة والدعة، والإنسان في حقيقة امره مجبول على معرفة الله جل وعلا وأنه الواهب والمعطي والمسيطر ودليل معرفته بذلك أنه كما ذكرت الاية المباركة يطلب عفوه وعطفه بعد أن تضطره الحاجة لذلك الأمر.

وورد في قوله تعالى ﴿﴿**إِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ**﴾﴾ (الجمعة ١١) تتماهى الذاكرة في النص وهي محضر الإشارة إلى وقائع دائرة في زمن الرسول الاكرم محمد(صلى الله عليه وآل وسلم) وهي في محل ذكر الشعيرة الأولى في الإسلام وهي الصلاة فالآية المباركة ((عطف على جملة إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله [الجمعة: ٩] الآية. عطف التوبيخ على ترك المأمور به بعد ذكر الأمر وسلكت في المعطوفة طريقة الالتفات لخطاب النبي (صلى الله عليه وآل وسلم) إيذانا بأنهم أحرار أن يصرف

---

(١) – نظم الدرر فى تناسب الآيات و السور: ٦٢٥

للخطاب عنهم فحرموا من عز الحضور. وأخبر عنهم بحال الغائبين، وفيه تعريض بالتوبيخ))[١]. ثم بين في معنى الشرط الوارد فيها ((وإذا ظرف للزمان الماضي مجرد عن معنى الشرط لأن هذا الانفضاض مضى. وليس المراد أنهم سيعودون إليه بعد ما نزل هذا التوبيخ وما قبله من الأمر والتحريض))[٢]، فالنص فيه معاتبة وانتقاص ممّن أهملوا تذكرة الآخرة في سبيل تذكرة الدنيا ولم يرعوا ولم يخجلوا من وجود الرسول(صلى الله عليه وآل وسلم) فها هم ينتفضون عن الصلاة لتحقيق مآربهم ويلتحقون بركب الطالب من مقدرات تجارة قد وصلت في ميقات اقامتهم للعبادة، ((و إفراد التجارة بردّ الكناية، لأنّها المقصودة، فإنّ المراد من اللهو و الطبل الّذي كانوا يستقبلون به العير، و لهذا قدّمها عليه، و قيل: تقديره: إذا رأوا تجارة انفضّوا إليها، و إذا رأوا لهوا انفضّوا إليه، فحذف أحدهما لدلالة المذكور عليه. و الترديد للدلالة على أنّ منهم من انفضّ لمجرّد سماع الطبل ورؤيته. أو للدلالة على أنّ الانفضاض إلى التجارة مع الحاجة إليها والانتفاع بها إذا كان مذموما، كان الانفضاض إلى اللهو أولى بذلك.وَ تَرَكُوكَ قائِماً أي: على المنبر، أو في الصلاة))[٣] فالذاكرة السمعية التي وردت عن طريق الروايات التي تذكر أنهم أمام حركة مثيرة تتحقق مع الاستماع إلى صوت الاشارة للوصول للتجارة أو الروية وذاكرتها في مشارف القوم تجتمع للأفول والتفرق عن رؤية وسماع ما تجود به حنجرة النبي الأكرم (صلى الله عليه وآل وسلم)ووجه المبارك فيتركوه طلبا للدنيا ولا يرجعون بعد تفرقهم طلبا لفتات الدنيا وزخرفها .

---

(١) – تفسير التحرير والتنوير:٢٢٧/٢٨.

(٢) تفسير التحرير والتنوير: ٢٢/ ٢٣٠.

(٣) – زبدة التفاسير بهامش مصحف المدينة النبوية:٧/ ٥٨ .

ومنها أيضاً ما يرد في قوله تعالى على سبيل التشخيص متضمنا ذاكرة ذوقية ممزوجة بالشرط كقوله ﴿﴿**وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ**﴾﴾ (الروم ٣٦) ((وإذا أذقنا الناس رحمة أى نعمة من مطر أو سعة أو صحة فرحوا بها وإن تصبهم سيئة أى بلاء من جدب أو ضيق أو مرض- والسبب فيها شؤم معاصيهم- قنطوا من الرحمة))[١]. أي إنه اشترط الرحمة للفرح فيما يقنطون في حال تأخر النعم أو نزول البلاءات، وعبر عن الإصابة بالإذاقة للإيماء إلى التذاذهم بالرحمة و عناية بالقلة فإن الذوق يستعمل في القليل من التغذي «رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ» و التعبير بالرحمة في موضع السراء للإشارة إلى أنها من الرحمة الإلهية من غير أن يستوجبوا ذلك فكان من الواجب عليهم أن يقوموا بحقه، و يخضعوا لما تدعو إليه الآية و هو توحيد ربهم و شكر نعمته [٢]

وقيل المراد بالناس هنا المشركون خاصة، و ليس هذا القول ببعيد عن قرينة السياق، فإن الآيات السابقة تحدثت عن المشركين، و لكن هذا لا يمنع من أن يكون التهديد عاما يشمل كلّ من جحد أنعم الله، سواء أ كان الجحود من المؤمن أم الكافر، قبل الضراء أم بعدها [٣] فالرحمة التي جاءت جامعة لمختلف الهبات وما كرم به الإنسان من خيرات تتمحور حولها الذاكرة فتكون دورة الحياة هي المرتع والبؤرة التي تنطلق منها الآية المباركة فما بعد الضر الا اليسر والعكس أيضاً فالحياة تسير كما رسمت من لدن عزيز مقتدر، وما يمر على صحيفة العبد وعلى صفحة حياته هو ميدان لذاكرة جمعية تختزن في ذاكرة الإنسان وتتموقع في وجدانه.

---

(١) – تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: ٣/ ٤٨٠ .

(٢) –الميزان في تفسير القرآن: ١٠/ ٢٦ .

(٣) – التفسير الكاشف:٤/١٤٦.

وترد الذاكرة السمعية ممزوجة مع الشرط في قوله تعالى ﴿﴿**وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى**﴾﴾ (طه الآية ٧) فقوله (وأخفى) بناء للمبالغة، وعلى هذا القول نقول إنه تعالى قسم الأشياء إلى ثلاثة أقسام: ((الجهر، والسر. والأخفى. فيحتمل أن يكون المراد من الجهر القول الذي يجهر به، وقد يسر في النفس وإن ظهر البعض، وقد يسر ولا يظهر على ما قال بعضهم. ويحتمل أن يكون المراد بالسر وبالأخفى ما ليس بقول وهذا أظهر فكأنه تعالى بين أنه يعلم السر الذي لا يسمع وما هو أخفى منه فكيف لا يعلم الجهر؟ والمقصود منه زجر المكلف عن القبائح ظاهرة كانت أو باطنة، والترغيب في الطاعات ظاهرة كانت أو باطنة، فعلى هذا الوجه ينبغي أن يحمل السر والأخفى على ما فيه ثواب أو عقاب، والسر هو الذي يسره المرء في نفسه من الأمور التي عزم عليها، والأخفى هو الذي لم يبلغ حد العزيمة، ويحتمل أن يفسر الأخفى بما عزم عليه وما وقع في وهمه الذي لم يعزم عليه، ويتحمل ما لم يقع في سره بعد فيكون أخفى من السر، ويحتمل أيضاً ما سيكون من قبل الله تعالى من الأمور التي لم تظهر، وإن كان الأقرب ما قدمناه مما يدخل تحت الزجر والترغيب))[1].

ويحتمل أن يكون المراد بالسر و بالأخفى ما ليس بقول و هذا أظهر فكأنه تعالى بين أنه ((يعلم السر الذي لا يسمع و ما هو أخفى منه فكيف لا يعلم الجهر، والمقصود منه زجر المكلف عن القبائح ظاهرة كانت أو باطنة، و الترغيب في الطاعات ظاهرة كانت أو باطنة، فعلى هذا الوجه ينبغي أن يحمل السر والأخفى على ما فيه ثواب أو عقاب، و السر هو الذي يسره المرء في نفسه من الأمور التي عزم عليها، والأخفى هو الذي لم يبلغ حد العزيمة، ويحتمل أن يفسر الأخفى بما عزم عليه و ما وقع في وهمه الذي لم يعزم عليه، ويتحمل ما لم يقع في سره بعد فيكون أخفى من السر، و يحتمل أيضاً ما سيكون

([1])- التفسير الكبير:٢٢/١٠.

من قبل الله تعالى من الأمور التي لم تظهر، وإن كان الأقرب ما قدمناه مما يدخل تحت الزجر والترغيب. القول الثاني: أن أخفى فعل يعني أنه يعلم أسرار العباد و أخفى عنهم ما يعلمه وهو كقوله: ﴿﴿**يَعْلَمُ ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ ما خَلْفَهُمْ وَ لا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ**﴾﴾ [البقرة: ٢٥٥] فإن قيل كيف يطابق الجزاء الشرط؟ قلنا معناه إن تجهر بذكر الله تعالى من دعاء أو غيره، فاعلم أنه غني عن جهرك، و إما أن يكون نهيا عن الجهر كقوله: ﴿﴿**وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَ خِيفَةً وَ دُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ**﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٥] و إما تعليما للعباد أن الجهر ليس لاستماع الله تعالى، وإنما هو لغرض آخر، واعلم أن الله تعالى لذاته عالم وأنه عالم بكل المعلومات في كل الأوقات بعلم واحد وذلك العلم غير متغير، و ذلك العلم من لوازم ذاته من غير أن يكون موصوفا بالحدوث أو الإمكان))[١] فالأمر فيه مدلولات أخلاقية ولدتها الذاكرة المتحصلة مع الشرط والتي تواشبت معه فكانت القدرة على معرفة دواخل النفس، والجلبة الاخلاقية فيه وعدم ازعاج الناس بالصوت ولوازمه، فضلا عن الترهيب في وضع الدسائس وما يرافقها من أحداث وفتن، كما إنها تتواشج مع مكروهات المحادثة فأذا ما شوهد احدهم وهو في صدد الكلام الخافت فإن كلامه سيجلب النميمة وسوء الظن وكلها من الموبقات التي منع الله عباده عنها، وكلها مترافقة مع ذاكرة القوم وما يحدث نصب أعينهم .

وترد الذاكرة اللمسية وهي في صدد ذكر العذاب الواقع يوم المعاد وكيفية حدوثة وطريقة حدوثة وكل ذلك متوافقا مع ورود أسلوب الشرط ويرد ذلك بقوله تعالى ﴿﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا**﴾﴾ (النساء:٥٦) وذكر القرطبي (قد تقدم معنى الإصلاء أول السورة. وقرأ حميد بن قيس (نصليهم) بفتح النون أي نشوئهم. يقال: شاة مصلية.

---

(١) – التفسير الكبير: ٢٢/ ٥

ونصب (نارا) على هذه القراءة بنزع الخافض تقديره بنار. (كلما نضجت جلودهم) يقال: نضج الشيء نضجا ونضجا، وفلان نضيج الرأي محكمة. والمعنى في الآية: تبدل الجلود جلودا أخر. فإن قال من يطعن في القرآن من الزنادقة: كيف جاز أن يعذب جلدا لم يعصه؟ قيل له: ليس الجلد بمعذب ولا معاقب، وإنما الألم واقع على النفوس؛ لأنها هي التي تحس وتعرف فتبديل الجلود زيادة في عذاب النفوس. يدل عليه قوله تعالى: (ليذوقوا العذاب) وقوله تعالى: (كلما خبت زدناهم سعيرا). فالمقصود تعذيب الأبدان وإيلام الأرواح. ولو أراد الجلود لقال: ليذقن العذاب[١]) فالشرط حاصل بنضج الجلود أولا، فلما تنضج تبدل.

فالذاكرة اللمسية وما تحققه في النص من إشارات فهي تستقر في أعتاب النص فاذا كان النضج للجلود على حقيقتها فهي في مدار الحقيقة والتعامل مع الشيء الملموس فأول ما يحرق ويعذب في النار هو الجلد، وإذا كانت على مدار المجاز وإن الجلد مقصودة النفس ومداخلها وما يسلط من عذاب فهو واقع عليها، والشرط مع توهج وروده وامتزاجه بالذاكرة رسم خط العقاب الرباني لكل عاص أو معتد آثم .

ينفرد أسلوب الشرط في مناحي ربطه بين جملتين في تحقيق مرام الذاكرة فما هو حادث في أوقات مضت سيكون له تبعات فكلّ حادث وفعل رد فعل مستقبلي فالذاكرة هنا في مدار خلخلة الزمن بين ماضٍ وحاضر وتسهم في رسم المشهد بينهما تصويراً سيميائياً أخاذاً، ليكون حجة وتحقيق واقناعاً للمتلقين جميعاً.

([١]) – تفسير القرطبي: شمس الدين القرطبي:٥/٢٥٣-٢٥٤.

المبحث الثالث : الحذف في القرآن الكريم

الحذف لغة: الحذف في لغة العرب القطع والإسقاط، ففي اللسان ((حذف الشيء يحذفه حذفا قطعة من طرفه))[١] ويقول الجواهري في الصحاح: ((حذف الشيء إسقاطه، يقال: حذفت من شعري ومن ذنب الدبة؛ أي أخذته)) [٢].

الحذف اصطلاحاً: الحذف عند النحاة بحسب الزركشي: ((إسقاط جزء من الكلام أو كله لدليل))[٣]. والحذف عند البلاغيين عرفه الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز بأنه ((باب دقيق المسلك لطيف المأخذ عجيب الأمر شبيه بالسحر فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن))[٤]، واغلب البلاغيين يسمون الحذف بالإيجاز وهو ما عرفه الرماني بأنه: (تقليل الكلام من غير إخلال بالمعنى)[٥].

شروط الحذف: اشترط العلماء عدة شروط لحدوث الحذف في القرآن الكريم وهي:

١.وجود دليل على المحذوف: قال المبرد: ((لا بد أن يكون في ما ألقي دليل على ما ألقي))[٦] ويضيف ابن جني قائلا: (قد حذفت العرب الجملة والمفرد والحركة، وليس شيء من ذلك إلا عن دليل، وإلا كان فيه ضرب من تكلف علم الغيب في معرفته)[٧]. وهذا الدليل على نوعين:

---

(١) لسان العرب:٣/٩٣, مادة (حذف).

(٢)الصحاح :٤/١٣٤,مادة (حذف)

(٣) – البرهان في علوم القرآن:٣/١١٢.

(٤) – دلائل الاعجاز::١٧٠.

(٥) –النكت في اعجاز القرآن:٧٦.

(٦) –المقتضب:٣/١١١.

(٧)– الخصائص:٢/٣٦٠.

أ-دليل حالي :

ب دليل مقالي: ومنه قول الله تعالى: **(وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ)** أي أنزل أساطير الأولين.

٢- ألا يكون المحذوف كالجزء؛ فلا يحذف الفاعل ولا نائبه ولا مشبهه.

٣- ألا يكون مؤكدا.

٤- ألا يؤدي إلى اللبس.

٥- ألا يكون قد استعيض به عن شيء محذوف .

٦- عدم ضعف العامل فلا يحذف الجار والجازم والناصب للفعل.

٧- ألا يؤدي الحذف إلى اختصار المختصر .

٨- ألا يؤدي الحذف إلى تهيئة العامل للعمل وقطعه عنه[١].

وعند تتبع ما ورد من هذا الأسلوب في القرآن الكريم مصحوبا بالذاكرة قوله تعالى ﴿﴿**وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ**﴾﴾ (المائدة٦) وقيل ان(الباء) هنا تعني بعض ثم حذف الباقي، والتقدير فامسحوا بعض رؤوسكم، أو كما جاء في كتاب البرهان للزركشي، الاقتطاع هو ذكر حرف من الكلمة وإسقاط الباقي[٢]، فالذاكرة اللمسية تظهر في النص للإشارة إلى هذا المورد المختص بالتحضيرات المطلوبة لتحقيق أهم الشرائع الربانية وهي الصلاة، والتجهيز لها، فكان المسح على الرأس والأرجل من هذه الأسس التي سطرت وحددت من لدن الله تبارك وتعالى كمسح الرأس ((و امسحوا بما بدا لكم أن تمسحوا به من رءوسكم بالماء إذا قمتم إلى الصلاة))[٣] ((والمسح: إمرار اليد أو كل

---

(١)- دلالات الحذف في القرآن الكريم من خلال كتاب تيسير التفسير:١١.

(٢)ينظر: البرهان في علوم القرآن :٣ /٧٧ .

(٣) جامع البيان فى تفسير القرآن:٦/ ٧١ .

عضو لامس على الشيء بالمباشرة، يقال. مسحت الشيء و مسحت بالشيء، فإذا عدي بنفسه أفاد الاستيعاب، وإذا عدي بالباء دل على المسح ببعضه من غير استيعاب وإحاطة. فقوله: «وَامْسَحُوا بِرُؤُسِكُمْ» يدل على مسح بعض الرأس في الجملة، و أمّا أنه أي بعض من الرأس فمما هو خارج من مدلول الآية، و المتكفل لبيانه السنة، وقد صح أنه جانب الناصية من الرأس.))[1] فالذاكرة جعلت هذه الشعيرة متحققة وفق محددات مجموعة وجاءت الباء اللدلالة على المحذوف ولتحقيق أحد الأحكام العبادية وفق مدار اللغة المحددة لتلك الاحكام فاجتماع اللغة وتراكيبها مع الرويات المتعددة في هذه المسألة ولد سلسلة كبيرة من التأويلات أدت إلى خلاف كبير في مقاييس المسح والغسل، وكل فرقة تتبنى المعتقد الفقهي الذي تتبعه .

ومنها أيضاً ما ورد في قوله تعالى ﴿﴿**قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾﴾ (ال عمران ٢٦) ذكر القشيري («اللَّهُمَّ» معناها يا الله والميم في آخرها بدل عن حرف النداء وهو يا، فهذا تعليم الحق كيفية الثناء على الحق، أي صفني بما أستحقّه من جلال القدر فقل: يا مالك الملك لا شريك لك ولا معين، ولا ظهير ولا قرين، ولا مقاسم لك في الذات، ولا مساهم في الملك، ولا معارض في الإبداع. تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشاءُ. حتى نعلم أن الملك لك، والملك من المخلوقين من تذلّل له، ومنزوع الملك ممن تكبّر عليه فتجمّل الخلق في تذللهم للحق، وعزّهم في محوهم فيه، وبقاؤهم في فنائهم به وَتُعِزُّ مَنْ تَشاءُ بعز ذاتك. وَتُذِلُّ مَنْ تَشاءُ. بخذلانك(...) وتؤتى الملك من تشاء بشد نطاق خدمتك، وتنزع الملك ممن تشاء بنفيه عن بساط عبادتك. تؤتى الملك من تشاء بإفراد سرّه لك وتنزع الملك ممن تشاء بأن تربط قلبه بمخلوق، وتعز من تشاء بإقامته

([1]) الميزان في تفسير القرآن:٥/ ٢١٩ .

بالإرادة، وتذل من تشاء بردّه إلى ما عليه أهل العادة. بِيَدِكَ الْخَيْرُ. ولم يذكر الشر حفظا لآداب الخطاب، وتفاؤلا بذكر الجميل، وتطيرا من ذكر السوء. إِنَّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)[١] أي إنه جل جلاله حذف الشر لدلالة القدرة عليه، فذاكرة الخطاب القرآني هي من واقعية الحياة والمشاهد فجعل الله تبارك وتعالى الاتيان للملك وكأنه شيء محسوس ملموس، وكذلك الأخذ، وتوافق ذلك بمداليل التوازي المتحقق ضمن متواليتين لغويتين متوافقتين فتحقق المراد في ابعاد صفة الشرور ,و السوء بنزع الملك الذي حذف .

وفي قوله تعالى ﴿﴿**وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ**﴾﴾ (البقرة:١٧١) ذكر البغوي ((مَثَلُكَ يَا مُحَمَّدُ وَمَثَلُ الْكُفَّارِ فِي وَعْظِهِمْ وَدُعَائِهِمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ [كَمَثَلِ الرَّاعِي الَّذِي يَنْعِقُ بِالْغَنَمِ، وَقِيلَ: مَثَلُ وَاعِظِ الكفار وداعيهم كَمَثَلِ الرَّاعِي يَنْعِقُ بِالْغَنَمِ وَهِيَ لَا تَسْمَعُ، إِلَّا دُعاءً صَوْتًا وَنِداءً، فَأَضَافَ الْمَثَلَ إِلَى الَّذِينَ كَفَرُوا، لِدَلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَيْهِ))[٢] أراد: مثل الذين كفروا و مثلنا في وعظهم. فحذف (و مثلنا) اختصارا ، إذ كان في الكلام ما يدل عليه[٣] مثل ضربه الله للكافر يسمع ما يقال له ولا يعقل، كمثل البهيمة تسمع النعيق ولا تعقل، لا يعقل ما يقال له إلا أن تدعي فتأتي أو ينادى بها فتذهب، و أما الذي ينعق فهو الراعي للغنم كما ينعق الرعي بما لا يسمع ما يقال له، إلا أن يدعي أو ينادي، فكذلك محمد o يدعو من لا يسمع إلا خرير الكلام[٤]، فالكلام يتوافق ضمن مدار الطبيعة الحياتية التي يتحرك الفرد ضمنها فوصفهم بالبهيمية أمراً قد ثبت بسبب طغيانهم وعدم تعقلهم لصوت الحق فهؤلاء

---

(١) – لطائف الإشارات:١/٢٣٠-٢٣١.

(٢) – تفسير البغوي:١/ ١٩٩.

(٣) ينظر: غريب القرآن: ٦٨ .

(٤)ينظر : جامع البيان فى تفسير القرآن:٢/ ٤٧ .

يحركهم رؤساؤهم نحو الهلاك ويقودوهم من دون أي وجهة اعتراض فهم كالصم وكالبكم يذهبون مع الناعق أينما ذهب فالمشهد بديع والتشبيه بليغ بمختلف أركانه والشخوص المقصودة متوافقة مع ما طلب منها، فكلّ ما مثل له من واقع وكل ما حذف هو من مدار المعروف لديهم فحذف الموجه لمعرفتهم بمكانته وامانته وحرصه الشديد في اعلاء اسم الرب في مصافي البسيطة .

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى ﴿﴿**وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ**﴾﴾ (الانفال ٢٣) يذكر النص (إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ أي إنّ شر من يدب على وجه الأرض. أو إنّ شرّ البهائم الذين هم صمّ عن الحق لا يعقلونه، جعلهم من جنس البهائم، ثم جعلهم شرّها وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ في هؤلاء الصم البكم خَيْراً أي انتفاعا باللطف لَأَسْمَعَهُمْ للطف بهم حتى يسمعوا سماع المصدقين، ثم قال وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا عنه. يعنى: ولو لطف بهم لما نفع فيهم اللطف، فلذلك منعهم ألطافه. أو ولو لطف بهم فصدقوا لارتدوا بعد ذلك وكذبوا ولم يستقيموا)(١) فالحذف كان لماهية ما يسمعهم الله هل هو الوحي، أم القرآن، أم المواعظ، أم إن المسموع هو الكلام الذي يمخر عباب الروح والقلب فيؤثر في وجدانهم فيتتبعوا الايمان أو هي مواعظ القرآن و عبره، حتى يعقلوا عن الله حججه منه، و لكنه قد علم أنه لا خير فيهم و أنهم ممن كتب لهم الشقاء فهم لا يؤمنون. و لو أفهمهم ذلك حتى يعلموا و يفهموا لتولوا عن الله و عن رسوله، و هم معرضون عن الإيمان بما دلهم على حقيقته مواعظ الله و عبره و حججه معاندون للحق بعد العلم به. (٢) فالذاكرة السمعية قد استثمرت الحذف لتحقيق الاتساع في مناهل التأويل فكان المؤول فيه اشارة إلى كلّ شيء ممكن الحصول ولكنه اخفاه تبارك وتعالى ؛لأن هؤلاء القوم

---

(١)ينظر: تفسير الطبري:١/٢٨١.

(٢)ينظر: جامع البيان فى تفسير القرآن:٩/ ١٤٠ .

؛المشرك أو المنافق في مستقر بعيد في أن يتفهم لطف الله ورحمته فيستقيم على الطريقة ليعود إلى رشده فيتتبع الدين القويم ويتخذه منهاجا .

وفي قوله تعالى ﴿﴿**فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ**﴾﴾ (محمد ٤) وذكر الرازي ((الْفَاءُ فِي قَوْلِهِ فَإِذا لَقِيتُمُ يَسْتَدْعِي مُتَعَلِّقًا يَتَعَلَّقُ بِهِ وَيَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ، فَمَا وَجْهُ التَّعَلُّقِ بِمَا قَبْلَهُ؟ نَقُولُ هُوَ مِنْ وُجُوهٍ: الْأَوَّلُ: لَمَّا بَيَّنَ أَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَضَلَّ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَاعْتِبَارُ الإنسان بِالْعَمَلِ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ عَمَلٌ فَهُوَ هَمَجٌ فَإِنْ صَارَ مَعَ ذَلِكَ يُؤْذِي حَسُنَ إِعْدَامُهُ فَإِذا لَقِيتُمُ بَعْدَ ظُهُورِ أَنَّ لَا حُرْمَةَ لَهُمْ وَبَعْدَ إِبْطَالِ أَعْمَالِهِمْ، فَاضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ الثَّانِي: إِذَا تَبَيَّنَ تَبَايُنُ الْفَرِيقَيْنِ وَتَبَاعُدُ الطَّرِيقَيْنِ، وَأَنَّ أَحَدَهُمَا يَتْبَعُ الْبَاطِلَ وَهُوَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ، وَالْآخَرَ يَتْبَعُ الْحَقَّ وَهُوَ حِزْبُ الرَّحْمَنِ حَقَّ الْقِتَالُ عِنْدَ التَّحَزُّبِ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ الثَّالِثُ: أَنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ لِضَعْفِ قَلْبِهِ وَقُصُورِ نَظَرِهِ إِيلَامُ الْحَيَوَانِ مِنَ الظُّلْمِ وَالطُّغْيَانِ، وَلَا سِيَّمَا الْقَتْلُ الَّذِي هُوَ تَخْرِيبُ بُنْيَانٍ، فَيُقَالُ رَدًّا عَلَيْهِمْ: لَمَّا كَانَ اعْتِبَارُ الْأَعْمَالِ بِاتِّبَاعِ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ فَمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لِتَعْظِيمِ أَمْرِ اللَّهِ لَهُمْ مِنَ الْأَجْرِ مَا لِلْمُصَلِّي وَالصَّائِمِ، فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كفروا فاقتلوهم ولا تأخذكم بهما رَأْفَةٌ فَإِنَّ ذَلِكَ اتِّبَاعٌ لِلْحَقِّ وَالِاعْتِبَارُ بِهِ لَا بِصُورَةِ الْفِعْلِ. الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: فَضَرْبَ مَنْصُوبٌ عَلَى الْمَصْدَرِ، أَيْ فَاضْرِبُوا ضَرْبَ الرِّقَابِ))[1]. فالمحذوف قد ولد في النص ذاكرة لحوادث سابقة فما أن أصبح الإسلام ذا شوكة وأهله ذو منعة، وتمكنوا في الأرض، وأصبح نشر الدين في ربوع البسيطة أمرا ملزما، ولشراسة الهجمة من أمم الكفر ومن المنافقين للأمر أصبح الأمر بحاجة إلى شحذ السيوف فتداخلت الذاكرة اللمسية لبيان ذلك، فهو مما شاع في وقتها

([1]) – التفسير الكبير:٣٧/٢٨.

وتداخلت مع الحذف للإشارة لموضوع الضرب ومكان الضرب، وهو المكان الذي يشير إلى القطع دون ذكر ذلك مراعاة للذوق العام، وتوشيح الأمر بشيء من لمسة حضارية استعملت الحذف لتحقيقها .

وفي قوله تعالى ﴿**وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ**﴾ (البقرة الآية ٦٠) فسرها القرطبي (قَوْلُهُ تَعَالَى: ((فَانْفَجَرَتْ فِي الْكَلَامِ حَذْفٌ تَقْدِيرُهُ فَضَرَبَ فَانْفَجَرَتْ. وَقَدْ كَانَ تَعَالَى قَادِرًا عَلَى تَفْجِيرِ الْمَاءِ وَفَلْقِ الْحَجَرِ مِنْ غَيْرِ ضَرْبٍ لَكِنْ أَرَادَ أَنْ يَرْبِطَ الْمُسَبِّبَاتِ بِالْأَسْبَابِ حِكْمَةً مِنْهُ لِلْعِبَادِ فِي وُصُولِهِمْ إِلَى الْمُرَادِ وَلِيُرَتِّبَ عَلَى ذَلِكَ ثَوَابَهُمْ وَعِقَابَهُمْ فِي الْمَعَادِ. وَالِانْفِجَارُ: الِانْشِقَاقُ وَمِنْهُ انْشَقَّ الْفَجْرُ. وَانْفَجَرَ الْمَاءُ انْفِجَارًا انْفَتَحَ. وَالْفُجْرَةُ: مَوْضِعُ تَفَجُّرِ الْمَاءِ وَالِانْبِجَاسِ أَضْيَقُ مِنَ الِانْفِجَارِ لِأَنَّهُ يَكُونُ انْبِجَاسًا ثُمَّ يَصِيرُ انْفِجَارًا. وَقِيلَ: انْبَجَسَ وَتَبَجَّسَ وَتَفَجَّرَ وتفتق بمعنى واحد حكاه الهروي وغيره))[1] فالذاكرة السمعية والبصرية واللمسية قد اجتمعت في النص لتحقيق وبيان القدرة الربانية، ومقدار النعم التي سطرها لبني إسرائيل لعلهم يرتعوا ويتتبعوا ملكوت الله وليقيم الحجة الدامغة عليهم وعلى انحطاط فكرهم والمشهد السينمائي الذي حدث أمام الناس يصوره القرآن بشكل رائع وجميل فضرب الحجر الأصم بعصا موسى (عليه السلام) وانبجاس الماء خروجه قليلا اول الأمر حتى يهدئ من روع الناس ثم انفجاره واتساع نطاق جريانه ليشتمل الأسباط جميعا وكل هذا قد تحصل أمام أعين الناس، الذين خرجوا قبل قليل من دائرة الهلاك فأحياهم أيضاً بالماء ومن ثم الكلأ وأظلهم بالغمام حتى يتبينوا من معجزة النبي(صلى الله عليه وآل وسلم) وصدق دعوته فيهم .

([1]) – تفسير القرطبي:١/ ٤١٩.

وفي قوله تعالى ﴿﴿**حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾﴾ (فصلت ٢٠) وذكر ابن عاشور ((وَضَمِيرُ الْمُؤَنَّثِ الْغَائِب فِي جاؤُها عَائِدٌ إِلَى النَّارِ، أَيْ إِذَا وَصَلُوا إِلَى جَهَنَّمَ. وَجُمْلَةُ شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصارُهُمْ إِلَخْ يَقْتَضِي كَلَامُ الْمُفَسِّرِينَ أَنَّهَا جَوَابُ إِذا، فَاقْتَضَى الِارْتِبَاطُ بَيْنَ شَرْطِهَا وَجَوَابِهَا وَتَعْلِيقِهَا بِفِعْلِ الْجَوَابِ. وَاسْتَشْعَرُوا أَنَّ الشَّهَادَةَ عَلَيْهِمْ تَكُونُ قَبْلَ أَنْ يُوَجَّهُوا إِلَى النَّارِ، فَقَدَّرُوا فِعْلًا مَحْذُوفًا تَقْدِيرُهُ: وَسُئِلُوا عَمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ فَأَنْكَرُوا فَشَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ، يَعْنِي: سَأَلَهُمْ خَزَنَةُ النَّارِ. وَأَحْسَنُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ نَقُولَ: إِنَّ جَوَابَ إِذا مَحْذُوفٌ لِلتَّهْوِيلِ وَحَذْفُ مِثْلِهِ كَثِيرٌ فِي الْقُرْآنِ، وَيَكُونُ جُمْلَةُ شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ إِلَى آخِرِهَا مُسْتَأْنَفَةً اسْتِئْنَافًا بَيَانِيًّا نَشَأَ عَنْ مَفَادِ حَتَّى مِنَ الْغَايَةِ لِأَنَّ السَّائِلَ يَتَطَلَّبُ مَاذَا حَصَلَ بَيْنَ حَشْرِهِمْ إِلَى النَّارِ وَبَيْنَ حُضُورِهِمْ عِنْدَ النَّارِ فَأُجِيبَ بِأَنَّهُ شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ إِلَى قَوْلِهِ: الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَيَتَضَمَّنُ ذَلِكَ أَنَّهُمْ حُوسِبُوا عَلَى أَعْمَالِهِمْ وَأَنْكَرُوهَا فَشَهِدَتْ عَلَيْهِمْ جَوَارِحُهُمْ وَأَجْسَادُهُمْ. أَوْ أَنْ يَكُونَ جَوَابُ إِذا قَوْلَهُ: فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوىً لَهُم))[١] وفي الشهادة التي كانت محذوفة فهي غير معروفة النوع فبماذا شهد كل عضو من تلك الأعضاء لأن كل منها له وظيفة تختلف عن الآخر، واجتمعت معها أيضاً الذاكرة بأنواعها الثلاثة البصرية (الابصار) والسمعية (السمع) واللمسية (الجلود) لتحقق الأسس التي سيبدأ عليها الحساب فكلّ ما في الإنسان سوف يشهد عليه ويجعله هذا امام مسؤولية صونها جميعا حتى يحقق مبتغاه ويجتاز السراط نحو جنة الخلد .

استثمرت الذاكرة مناهل الحذف لتأويل بعض المفردات الواردة في النص والتي كانت قرآئن لما هو محذوف، فضلا عن اسهام ذلك في تحقيق الاتساع في مناهل التأويل، فكان المؤول فيه اشارة لشيء متوافر في اثناء الحدث ووقته.

---

(١) – تفسير التحرير والتنوير:٢٤/ ٢٦٦.

المبحث الرابع :النهي في القران الكريم

النهي لغة: خلاف الأمر و(نهاه ينهاه نهيا، فانتهى وتناهى (...) وتناهوا عن الشيء: نهى بعضهم بعضا، وفي التنزيل: (كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه) وقد يجوز أن يكون معناه ينتهون(...) فالقول أن يكون ناهيا اسم الفاعل من نهيت)[١]، وذكر ابن منظور ((الإنهاء: الإبلاغ. وأنهيت إليه الخبر فانتهى وتناهى، أي بلغ. والنهاية: الغاية. يقال: بلغ نهايته. والنهية بالضم أيضاً مثله))[٢]

النهي اصطلاحاً: يعرفه الشريف الجرجاني بقوله ((النهي: ضد الأمر، وهو قول القائل لمن دونه: لا تفعل))[٣] ويعرف أيضاً بأنه ((استدعاء الترك بالقول على وجه الاستعلاء، بصيغة مخصوصة هي المضارع المقرون بلا الناهية))[٤]، وعرفه آخر بتعريف مقارب فقال إن النهي ((قول يتضمن طلب الكف على وجه الاستعلاء، بصيغة مخصوصة هي المضارع المقرون بلا الناهية))[٥] ويلاحظ من تعدد المفاهيم في النهي اختلاف بين في ما يطلب منه هل هو الترك فحسب، أو كف النفس عن الفعل بفعل ضد المنهي عنه، والفرق بينهما ((أن المطلوب على القول الأول : أمر عدمي محض. والمطلوب على القول الثاني: أمر وجودي ؛لأن الكف من أفعال النفس))[٦]

ومن المواضع التي يرد فيها النفي مصحوبا بالذاكرة قوله تعالى ﴿**وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِ نَاقَةُ**

---

(١) – المحكم والمحيط الأعظم: ، مادة (نهي).

(٢) – لسان العرب: ابن منظور، مادة (نهي).

(٣) – التعريفات: :٢٤٨.

(٤) – الإحكام في أصول الأحكام:٣/٣٦٦.

(٥) – ارشاد الفحول الى تحقيق الحق من علم الأصول:١/ ١٦٥.

(٦) – اسلوب النهي في القرآن دراسة في التركيب والدلالة:٧.

اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (الاعراف:٧٣) تظهر الذاكرة اللمسية في هذا الموضع المبارك من الآية المباركة في وصف حادثة معينة وموقف خاص بناقة صالح (عليه السلام) فما أن طلبها القوم واستجاب لهم وجعلها آية كان الشرط فيها أن لا تمس بسوء((قال: فذروها تأكل في أرض ربها، فليست الأرض لكم ولا ما فيها من النبات من إنباتكم، ولا تمسوها بسوء ولا تضربوها ولا تطردوها ولا تقربوا منها شيئا من أنواع الأذى، فالنهي عن مسها اختبار لهم عن قدرتهم على تركها كمعجزة وآية ربانية. إذا مسّها أحد بسوء، عن رضى من البقيّة، فقد دلّوا على أنّهم خلعوا حرمة الله تعالى و حنقوا على رسوله عليه السلام، و انتصب قوله: فَيَأْخُذَكُمْ في جواب النّهي ليعتبر الجواب للمنهي عنه لأنّ حرف النّهي لا أثر له: أي إن تمسّوها بسوء يأخذكم عذاب، و أنيط النّهي بالمس بالسّوء؛ لأنّ المس يصدق على أقل اتّصال شيء بالجسم، فكلّ ما ينالها ممّا يراد منه السّوء فهو منهي عنه، و ذلك لأنّ الحيوان لا يسوؤه إلّا ما فيه ألم لذاته، لأنّه لا يفقه المعاني النّفسانيّة.و الباء في قوله: بِسُوءٍ للملابسة، و هي في موضع الحال من فاعل تمسوها أي بقصد سوء)) [١] فالمس هنا كل ما يكال لهذه الآية من أذى : الضرب أو النحر أو التخويف ووغيره ؛ لأنه سوف يقابل بالفناء فمقدار بقاء هذه الآية على الأرض سيكون بقاؤهم، فكان النهي هنا محققا للمبتغى المقصود منه واشار للمراد بالشكل الأمثل الذي لا لبس فيه .

ومنها أيضاً ما ورد في قوله تعالى ﴿﴿**قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ**﴾﴾ (يوسف:٥) وذكر أهل التفسير إن يعقوب (عليه السلام)حذر ابنه من أن يقص رؤياه على اخوته خوفا من كيدهم له ((وفيها ما يدل على جواز ترك إظهار النعمة عند من تخشى غائلته حسدا وكيدا، وقال النبي(صلى

---

(١)- التحرير و التنوير :٨/ ١٦٦

الله عليه وآل وسلم): ((استعينوا على إنجاح حوائجكم بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود))، وفيها دليل واضح على معرفة يعقوب (عليه السلام) بتأويل الرؤيا، فإنه علم من تأويلها أنه سيظهر عليهم، ولم يبال بذلك من نفسه، فإن الرجل يود أن يكون ولده خير منه، والأخ لا يود ذلك لأخيه. ويدل أيضاً على أن يعقوب (عليه السلام) كان أحس من بنيه حسد يوسف وبغضه، فنهاه عن قصص الرؤيا عليهم خوفا أن تغل بذلك صدورهم، فيعملوا الحيلة في هلاكه))[١] والدليل على بلوغ حسدهم و ظهور حنقهم و بغضهم قوله ((لا تَقْصُصْ رُؤْياكَ عَلى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدا" فلم يقل: إني أخاف أن يكيدوا، أو لا آمنهم عليك بتفريع الخوف من كيدهم أو عدم الأمن من جهتهم بل فرع على اقتصاص الرؤيا نفس كيدهم و أكد تحقق الكيد منهم بالمصدر- المفعول المطلق- إذ قال: «فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدا ثم أكد ذلك بقوله ثانيا في مقام التعليل: «إِنَّ الشَّيْطانَ لِلْإِنْسانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ» أي إن لكيدهم سببا آخر منفصلا يؤيد ما عندهم من السبب الذي هو الحسد و يثيره و يهيجه ليؤثر أثره السيئ و هو الشيطان الذي هو عدو للإنسان مبين لا خلة بينه و بينه أبدا يحمل الإنسان بوسوسته و تسويله على أن يخرج من صراط الاستقامة و السعادة إلى سبيل عوج فيه شقاء دنياه و آخرته فيفسد ما بين الوالد و ولده و ينزع بين الشقيق و شقيقه و يفرق بين الصديق و صديقه ليضلهم عن الصراط. فكأن المعنى: قال يعقوب ليوسف (عليه السلام): يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فإنهم يحسدونك و يغتاظون من أمرك فيكيدونك عندئذ بنزغ و إغراء من الشيطان و قد تمكن من قلوبهم و لا يدعهم يعرضوا عن كيدك فإن الشيطان للإنسان عدو مبين))[٢] فما رآه يوسف (عليه السلام) قد يكون هو البؤرة التي أنطلق منها اخوته لاستئصال وجوده والتخلص منه حتى

---

(١)- تفسير القرطبي:١٢٧/٩.

(٢) - الميزان في تفسير القرآن :١١/ ٧٧ .

يكتسبوا المكانة المرموقة التي شعروا بان أباهم قد منحها ليوسف وليتحصلوا على شيء هو مسجل ضمن دائرة أولاد يعقوب (عليه السلام) ونقصد بذلك النبوة، فالنهي كان الاستعلام الاول عن اجراء الفعل وعدم الركون لمن هم في دائرة الحساد لما من الله به على يوسف عليه السلام فكان يعقوب قد علم بغائلة الأنفس فحذر يوسف مما هو قادم ومما هو حاصل له إذا ما تكلم بما حباه به الله تبارك وتعالى من النعمة المخصصة له دونهم .

وفي قوله تعالى ﴿**وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ (البقرة ١٨٨) تتوارد الذاكرة الذوقية على سبيل المجاز فالمال لا يؤكل لكنه يضيّع بسبب التبذير أو بذله بشكل غير مقنن أو استعماله ضمن مدار المحظورات فالنهي يتضمن الوجه الأول أو هو نهي عن أن يأكل بعضهم مال بعض بالباطل، وهي الطريق التي لم يبح الله الاكتساب بها، ونهاكم أيضاً عن رشاء حكام السوء ليأخذوا بذلك شيئا من الأموال التي لا يستحقونها، وقيد النهي والأخذ بقيد العلم بما يرتكبونه تقبيحا لهم، وتوبيخا لهم؛ لأن من فعل المعصية وهو عالم بها وبما يترتب عليها من الجزاء السيء كان أقبح في حقه وأشنع ممن يأتي في المعصية وهو جاهل فيها. وبما يترتب عليها)[١]. فـ (وَلا تَأْكُلُوا أَمْوالَكُمْ بَيْنَكُمْ) أي لا يأكل بعضكم مال بعض بِالْباطِلِ بالوجه الذي لم يبحه الله و لم يشرعه وَ تُدْلُوا بِها إِلَى الْحُكَّامِ و لا تدلوا بها فهو مجزوم داخل في حكم النهي، يعني ولا تلقوا أمرها والحكومة فيها إلى الحكام لِتَأْكُلُوا بالتحاكم فَرِيقاً طائفة مِنْ أَمْوالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ بشهادة الزور، أو باليمين الكاذبة، أو بالصلح مع العلم بأنّ المقضيّ له ظالم.[٢] فالنهي في النص المبارك في مدار التذكير بماضٍ سيء كان هو المسيطر على ذائقة الناس في جاهليتهم الأولى

---

(١) – البحر المحيط في التفسير:٢/ ٢٢٩ .

(٢)ينظر – مدارك التنزيل و حقايق التأويل:١/ ١٥٦

فهؤلاء كانوا قد اكتسبوا غائلة الربا وتشرعت فيهم تعليما من اليهود فكانت أموال الناس تؤكل دون رحمة وكان العباد تتهاوى في ركب الديون المدقعة حتى يصبحوا في نهاية الأمر عبيدا بسبب هذا التعامل فالنهي كان مقصودا حتى لا تصبح الناس تحت طائلة يد المرابي ومن لف لفه .

وفي قوله تعالى ﴿﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ**﴾﴾ (الحجرات: ٢) تبدأ الذاكرة بالشروع ضمن مدار منظومة أخلاقية متجذرة في الذات العربية تتمثل بالخشونة والتفاخر بها ليظهر القرآن الكريم بكلام الرب الكريم شروعا في النهي عن التجاوز في كيفية القول عند النبي(صلى الله عليه وآل وسلم) بعد النهي عن التجاوز في نفس القول والفعل، وإعادة النداء مع قرب العهد((للمبالغة في الإيقاظ والتنبيه، والإشعار باستقلال كلّ من الكلاميين باستدعاء الاعتناء بشأنه أي: لا تبلغوا بأصواتكم وراء حد يبلغه صوته (صلى الله عليه وآل وسلم)، بل يكون كلامه عاليا لكلامكم، وجهره باهرا لجهركم، حتى تكون مزيته عليكم لائحة، وسابقته لديكم واضحة. ولا تجهروا له بالقول إذا كلمتموه كجهر بعضكم لبعض أي: جهرا كائنا كالجهر الجاري فيما بينكم، بل اجعلوا أصواتكم أخفض من صوته، واختاروا في مخاطبته القول اللين القريب من الهمس، كما هو الدأب في مخاطبة المهاب المعظم، وحافظوا على مراعاة هيبة النبوة وجلالة مقدارها. وقيل: معنى: لا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض: لا تقولوا: يا محمد، يا أحمد، بل: يا رسول الله. يا نبي الله))[1](صلى الله عليه وآل وسلم) وربما يكون لطبيعة التحول الذي أصاب المجتمع الإسلامي هو الأساس الأول الذي دفع المشرع المقدس لاستهلال هذا الأمر فالأمة أصبحت متحركة نحو التحضر، وأصبحت

(1) – البحر المديد في تفسير القرآن المجيد:٥/٤١٥.

البيوت ضمن مدار الحجر لا بيوت الشعر وأصبح القوم لا ينفكوا عن الدخول ضمن مدار التخلق بأخلاق الإسلام فبدا التهذيب الأول ضمن كلامهم للرسول الأكرم (صلى الله عليه وآل وسلم) ثم التحول نحو بعضهم بعضا فنكون أمام البذرة الأولى للنظام الإسلامي الجديد القائم على الأخلاق ومكارمها ونشر المثل العليا وسبيلها ضمن مدارات القوم .

وفي قوله تعالى ﴿**وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورا**﴾ (الاسراء ٢٩) تبرز الذاكرة وفق دائرة المجاز ضمن مدار الكناية المتحركة ضمن فكرة التبذير ومقابله الاسراف في الإنفاق فقال: ((ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك أي لا تمسك عن الإنفاق بحيث تضيق على نفسك وأهلك في وجوه صلة الرحم وسبيل الخيرات، والمعنى: لا تجعل يدك في انقباضها كالمغلولة الممنوعة من الانبساط: ولا تبسطها كل البسط أي ولا تتوسع في الإنفاق توسعا مفرطا بحيث لا يبقى في يدك شيء))[١] فالآية المباركة تحركت في مراسم تتكشف ومن سوء تصور اليهود لله سبحانه، فقد حكى القرآن الكريم الكثير من سوء تصورهم ذاك كتصورهم إن الله فقير وهم أغنياء عند ما سئلوا النفقة! و قالوا: يد الله مغلولة، يعللون بذلك بخلهم؛ فالله- بزعمهم- لا يعطي الناس و لا يعطيهم إلا القليل .. فكيف ينفقون؟! و قد بلغ من غلظ حسهم، و جلافة قلوبهم، ألا يعبروا عن المعنى الفاسد الكاذب الذي أرادوه و هو البخل بلفظه المباشر؛ فاختاروا لفظا أشد و قاحة و تهجما و كفرا فقالوا: يد الله مغلولة! و يجيء الرد عليهم بإحقاق هذه الصفة عليهم، و لعنهم و طردهم من رحمة الله جزاء على قولهم:«غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَ لُعِنُوا بِما قالُوا».و كذلك كانوا، فهم ((أبخل خلق الله بمال! ثم يصحح هذا التصور الفاسد السقيم؛ و يصف الله سبحانه بوصفه الكريم. و هو يفيض

---

(١) – التفسير الكبير: ٢٠/ ٣٢٩.

على عباده من فضله بلا حساب:«بَلْ يَداهُ مَبْسُوطَتانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشاءُ» ..و عطاياه التي لا تكف و لا تنفد لكل مخلوق ظاهرة للعيان.. شاهدة باليد المبسوطة، والفضل الغامر، والعطاء الجزيل، ناطقة بكل لسان. ولكن يهود لا تراها؛ لأنها مشغولة عنها باللم و الضم، وبالكنود وبالجحود، وبالبذاءة حتى في حق الله! و يحدث الله رسوله o عما سيبدو من القوم، وعما سيحل بهم، بسبب حقدهم وغيظهم من اصطفاء الله له بالرسالة؛ وبسبب ما تكشفه هذه الرسالة من أمرهم في القديم و الحديث:«وَ لَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْياناً وَ كُفْراً». فبسبب من الحقد والحسد، وبسبب من افتضاح أمرهم فيما أنزل الله إلى رسوله، سيزيد الكثيرون منهم طغيانا وكفرا. لأنهم و قد أبوا الإيمان، لا بد أن يشتطوا في الجانب المقابل؛ و لا بد أن يزيدوا تبجحا و نكرا، و طغيانا و كفرا. فيكون الرسول(صلى الله عليه وآل وسلم) رحمة للمؤمنين، و وبالا عن المنكرين. ثم يحدثه عما قدر الله لهم من التعادي والتباغض فيما بينهم؛ و من إبطال كيدهم و هو في أشد سعيره تلهبا؛ و من عودتهم بالخيبة فيما يشنونه من حرب على الجماعة المسلمة)) [١] فالذاكرة والنهي فيها قد اسهما في رد ما تصوره القوم وما فاضت به نفوسهم البغيضة من غل وكره للجماعة المسلمة ولرب الناس الذي قد سلب منهم ما تمنوه من ديمومة كونهم شعب الله المختار للتحول هذه الصفة للأمة خاتمة الاديان ولمن حباها الله بكتابه المبارك القران وما توارد فيه من درر وأفكاره ومكارم اخلاق وعبر اسهمت جميعها في رصد المسيء وفي إنارة الطريق أمام عباد الرحمن ليصبحوا أمة الرب التي سوف تسطر للقوم أجمل سبل التشريع والمكارم .

لقد اسهم النهي المترافق مع الذاكرة بأنواعها المختلفة في تحقيق المنظور الاجتماعي المتطلب من لدن الرب فالنواهي والافعال التوجيهية التي وردت ضمن مدارها حققّا سبيلا

---

(١) – فى ظلال القرآن: ٩٠٦ .

مشرعا نحو تكامل الاسس المدنية والاخلاقية لبناء دولة تشع نورا وضياء امة ستكون قادرة بما لديها على قيادة الإنسانية جمعاء نحو المجد ونحو المثال .

المبحث الخامس : النداء

أسلوب بلاغي لغوي قائم على نسق نحوي يتمثل بمد الصوت للمخاطب طلبا لحضوره ؛لأن حده في اللغة ((النداء: الصَوتُ، وقد يضم مثل الدُعاءِ والرغُاء)[١] و(النداء: مصدر ناديته مناداة ونداء. وأنديت إنداء، إذا أفضلت. ونادي القوم ونديهم واحد، وهو مجتمعهم ومجلسهم، والجمع أندية. وكل ما ظهر فهو ناد كأنه نادى بظهوره)[٢].

وفي الاصطلاح : (النداء تنبيه المنادى وحمله على الإلتفات ويعبر عن هذا المعنى أدوات استعملت لهذا الغرض)[٣].**أي** أنه: (أن تدعوا أحدا لأن يلتفت إليك، ويُقبل عليك، ويستمع لك، إنه مجرد هتاف خالٍ من التركيب)[٤]، وأشهر أحرف النداء في القران الكريم هي (يا)، والتي تنتشر بشكل كبير أثناء النص المقدس لأنها وسيلة ترغيب وترهيب وجلب الانتباه للمتلقي، ويكون للبعيد والمتوسط وللقريب من حيث البعد .

ويرد النداء في كتاب الله العزيز محملا بالذاكرة كما في قوله تعالى: ﴿﴿**وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا**﴾﴾ (الكهف ٤٢) ترسم الذاكرة اللمسية في القرآن الكريم ضمن مدارك التكبر التي اصابت صاحب البستان على ما تحصل منه من نعيم الذي ظن أنه دائم ولكن بلمح البصر افقدها الله وجعلها حاصبا ليظهر النداء دلالة التحسر والتوجع؛ لأن ((تقليب الكفين وعض اليدين وأكل البنان وحرق الأسنان ونحوها كنايات عن الغيظ

---

(١)- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: مادة (ندا))(٦|٢٥٠٥)

(٢) – جمهرة اللغة:=:٢/١٠٦١.

(٣) – في النحو العربي نقد وتوجيه: ٣٠١

(٤) – اوضح المسالك الفية ابن مالك :٣/ ٢٩٨

والحسرة، فصاحب الأرض تمنى ردّ ما فات لحيرته وذهول عقله ودهشته: (يا ليتني} تمنيا لاعتماده على الله من غير إشراك بالاعتماد على الفاني {لم أشرك بربي أحدا) كما قال له صاحبه، فندم حيث لم ينفعه الندم على ما فرط في الماضي لأجل ما فاته من الدنيا، لا حرصا على الإيمان لحصول الفوز في العقبى، لقصور عقله ووقوفه مع المحسوسات المشاهدات))[١] فصورة النداء المحملة بتمني الحصول قد تداخلت مع الذاكرة اللمسية الدالة على الحسرة على ما فقد دون رجعة بسبب عدم الإيمان بقدرة الله والشرك به فأصبحت خضرته حاصبا واصبح ملوما محسورا لا يستطع عمل شيء أمام قدرة الله التي ازالت في لحظات ما تنعم فيه الرجل كثيرا وما رفع في نفسه الكبر والعناد، فزال كل ذلك وذهب .

ومن المواضع التي يرد فيها النداء محملا بالذاكرة السمعية قوله تعالى ﴿﴿**رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ**﴾﴾ (ال عمران ١٩٣) أرادوا به النبي محمد (صلى الله عليه وآل وسلم) [٢] و(المنادي) –بكسر الدال المهملة–: الذي يرفع صوته بالكلام، والنداء يرفع صوته بالكلام رفعاً قوياً لأجل الاسماع، وهو مشتق من (النداء) –بكسر النون وبضمها– وهو الصوت المرتفع، يقال (هو اندى صوتاً)، أي: أرفع، فأصل (النداء): الجهر بالصوت والصياح به) ومنه سمي دعاء الشخص شخصا ليقبل إليه: (نداء) لأن من شأنه أن يرفع الصوت به)[٣] فرفعه بقوله ((ربنا سمعنا داعيا يدعو إلى الإيمان يقول إلى التصديق بك، و الإقرار بوحدانيتك، و اتباع رسولك و طاعته، فيما أمرنا به، و نهانا

---

(١) – نظم الدرر في تناسب الايات والسور:١٢/ ٦٥.

(٢) – ينظر: التفسير الميسر:١/ ٧٥.

(٣) – تفسير التحرير والتنوير:٤/ ١٩٩.

عنه، مما جاء به من عندك فآمنا ربنا، يقول: فصدقنا بذلك يا ربنا، فاغفر لنا ذنوبنا، يقول: فاستر علينا خطايانا، و لا تفضحنا))[١] فالسماع الذي صدر من نبي الله (صلى الله عليه وآل وسلم) قابله تقبلا من بعض محيطه ممن آمنوا بقوله وبفعله وصدقوا ما دعا إليه من وحدانية الله، وحسن ايمانهن فأصبحوا في الرتب العلا، والمكان المرموق في جنة خلده.

ومنها أيضاً قوله تعالى على لسان أبراهيم (عليه السلام) ﴿﴿**إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي**﴾﴾ (البقرة ٢٦٠) وجاء النداء في هذه الآية بحذف اداة النداء في قوله (رب) وهي محملة بحديث إبراهيم بعد أن طلب النمرود منه أن يأتي بالإحياء والإماتة على سبيل المحسوس ؛ لأن النمرود لمّا لبّس أمر الإحياء و الإماتة على الناس أحبّ إبراهيم (عليه السلام) أن يصير ذلك من جهة الله تعالى محسوسا له بعد أن كان معقولا[٢] فسأل ذلك ليصير علمه عيانا، ومن ثم انتقل إلى تقرير آخر، سؤال ربه أن يريه ليطمئن قلبه على الجواب إن سئل عنه مرة أخرى. قالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ بأني قادر على الإحياء بإعادة التركيب و الحياة، قال له ذلك و قد علم أنه أغرق الناس في الإيمان ليجيب بما أجاب به فيعلم السامعون غرضه. قالَ بَلى وَ لكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي أي بلى آمنت و لكن سألت ذلك لأزيد بصيرة و سكون قلب بمضامة العيان إلى الوحي أو الاستدلال. [٣] فالمحاورة العيانية التي تفاعلت فيها الذاكرة مع النداء المتحرك لتحقيق اليقين وتحويل المعقول بالمحسوس حتى يضمن لنفسه قبول الناس وايمانهم ولكي

---

(١) – جامع البيان فى تفسير القرآن:٤/ ١٤١

(٢) – ينظر:درج الدرر في تفسير القرآن العظيم:١/ ٣٥٧.

(٣) – ينظر: أنوار التنزيل و أسرار التأويل: ١٥٧ .

يجعلهم في يقينية مطلقة بقدرة الله وضعف النمرود قدرة الرب الذي يعبده، وضعف ربهم الذي جعلوه صنو أعينهم ندا لله تبارك وتعالى .

وفي قوله تعالى ﴿﴿**فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣) وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ (104) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**﴾﴾ (الصافات: ١٠٣-١٠٥) يتوافر النداء مع الذاكرة البصرية المتنفذة في مراد إبراهيم في ذبح ولده تنفيذا لها فالرؤية هي البؤرة التي انطلق منها لتحقيق وعد الله فكان النداء المتحقق من مد الصوت بالذاكرة الأخرى السمعية هنا «قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيا» أي فعلت ما أمرت به في الرؤيا[١] بقلبك أى كانت عندك رؤيا صادقة فعملت بحسبها، و بعملك أي وفيت حقها من العمل، وأظهرت به طاعة الله على الرغم من المحنة البينة الصعوبة. [٢]و امتثلت للأمر الذي أمرناك فيها أي إن الأمر فيها كان اختباراً يكفي في امتثاله تهيؤ المأمور للفعل و إشرافه عليه فحسب[٣] ليكون قد أنجز ما فوض له من الأمر، فالمشهد المرسوم ضمن مدار الأمر والنهي والنداء والقصة التي وصلت إلى عنفوان ذروتها حينما وضعت السكين على نحر الطفل من لدن الأب وحلحلة الأمر سراعا بالفداء، من ثم التصديق بأن المحنة قد زالت وإن الأمر قد نفذ وأن نبي الله قد حقق ما ابتلاه الرب به بالعلامة الكاملة فخرج محتفظا بابنه وبالرحمة الربانية وبرضا الرب وهذا ما يؤكده خروج النداء للتنبيه والتوقير؛ لأن نداء ابراهيم بأسمه هو تنبيه له عن قبول النذر، وتوقير له على حسن تصبره وعظيم ما قدمه لله جل جلاله.

وفي قوله ﴿﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾﴾ (البقرة ١٠٤) يبدأ الخطاب بذاكرة سمعية كانت متفشية في أمة اليهود تتمثل في

---

(١) – مجمع البيان في تفسير القرآن:٨/ ٧٠٦

(٢)ينظر – التسهيل لعلوم التنزيل:٢/ ١٩٥.

(٣) – ينظر: الميزان في تفسير القرآن:١٧/ ١٤٥

كلمات تحمل في طياتها أكثر من معنى فذهبوا لعدم معرفة المسلمين بماهيتها يطلقونها في حضرة النبي الاكرم(صلى الله عليه وآل وسلم) فتلقفها بعض المسلمين فنهى الله تعالى المؤمنين أن يقولوا ذلك للنبي o [١] وأمرهم بالعدول عنه إلى نظيره و هو قوله (انظرنا) و في ذلك دلالة على وجوب تجنب الكلمة اذا أوهمت الخطأ [٢] ويذهب بعضهم إلى أن الكلمة بمعنى (أي لا سمعت) أو لا سمعت خيرا و لا سمعت شيئا أصلا بأن تبتلى بالصمم أو الموت يحتمل أنها موضوعة للسب في لغتهم، [٣] فجاء الأمر بصيغة النداء والنهي ليؤكدا أن الخطاب الموجه بين العباد أو بينهم وبين الرسول(صلى الله عليه وآل وسلم) يجب أن يكون بمداليل ظاهره لا لبس فيها فالكلام هنا يحمل معنيين الاول جميل محبب والآخر مذموم ملتبس بالسخرية .

تحمل النداء في مدار ذكرة مشفوعاً بالذاكرة أي كان نوعها بملامح اجتماعية فهو يأتي في مدارات التذكير والتنبيه ومحاولة رفد المجتمع بالمنظومة الأخلاقية المتطلبة من لدن المشرع، فضلاًعن الخطاب الموجه إلى البشر ايا كان نوعهم للدخول ضمن اساسات الدين واجتناب المعاصي فهو في حالة رسم أفق جديد للأمة وعدم اليأس حتى ممن جبلت قلوبهم على الكفر فيها.

اسهمت الأساليب التركيبية بأقترانها مع الذاكرة في رسم مشاهد متعددة رافقتها فتحت أمام اساسيات الترغيب والترهيب والاقناع لما هو معروض أمام الناس أوله كان عرضاً قائماً دون أي اجبار ولكن بعد أن اصبح القوم في غائلة وتمادوا في كفرهم وطغيانهم مع محاولاتهم الكبيرة في استئصال هذا الدين اصبح الأمر بحاجة إلى القوة وإلى النهي والأمر، وكلها باجتماعها رسمت الحدود التي على الفرد أن يجعلها ميقاتاً لحياته لا يتجاوزها أليته .

---

(١) –جامع البيان في تفسير القرآن:١/ ٣٧٣

(٢) ينظر–تنزيه القرآن عن المطاعن: ٣٠ .

(٣)ينظر – حاشية الصاوى على تفسير الجلالين:١/ ٢٩٧ .

المبحث السادس: النفي

أحد أساليب اللغوية المهمة المتحكمة في نقض الكلام ونفيه عن جهة معينة، يستعمله الباث لتوجيه خطابه نحو مفهوم معين، من المسلمات التي يحاول انكار حدوثها وهو في اللغة: (نفي أي نفيت الرجل وغيره نفياً إذا طردته، فهو منفي، وقال الله تعالى ﴿أو ينفوا من الأرض﴾ (المائدة ٣٣) ونفي الشيء ينفي نفياً، أي: تنحى)[١]. وعليه يمكن القول أن النفي لغة : هو الابعاد والتنحية والطرد.

أما النفي اصطلاحاً فهو: (ما لا ينجزم بـ (لا)، وهو من الأساليب اللغوية الضرورية كالإثبات والتوكيد والشرط ...الخ)[٢]، وهو عبارة عن (الأخبار عن ترك الفعل، وهو ضد الإيجاب)[٣]، وأهل المنطق يطلقون عليه السلب[٤].

ولهذا الأسلوب مجموعة كبيرة من الأدوات والأداة عبارة عن كلمة تستعمل للربط بين الكلام أو الدلالة على معنى في غيرها وتشترك هذه الأدوات على أنها تدل على معنى وظيفي عام هو التعليق، وادوات النفي هي (لا النافية، ما النافية، لات، ليس، لم، لما، لن)[٥].

وعند تتبعنا لورود هذا الأسلوب في القران الكريم متوافقا مع الذاكرة ما جاء في قوله تعالى ﴿﴿**أَفَسِحْرٌ هَٰذَا أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ**﴾﴾ (الطور:١٥) أي: يقال لهم يوم القيامة حين يعاينون العذاب، أفسحر هذا الذي وردتموه أم أنتم لا تعاينونه و هذا الكلام معناه التوبيخ و

---

(١) –العين::٨/ ٣٧٦ –٣٧٥

(٢) –التعريفات: ١٦٦.

(٣) – اساليب النفي في العربية دراسة وصفية تأريخية:١١.

(٤)ينظر –المخصص في العربية:٤/٢٤٨.

(٥) – ينظر: اسلوب النفي في اللغة الاكدية دراسة مقارنة مع اللغة العربية: ٣–١٦.

التقريع' و تحقيق العطف أن معناه:" بل أنتم" فهو خروج من أمر إلي أمر، أي: لا تبصرون الحق، و قد كانوا يبصرون لكنه توبيخ لهم و تقريع و توقيف على صحة ما كانوا يكذبوا به من النار، [١]اي كما كنتم لا تبصرون في الدنيا، يعنى: أم أنتم عمى عن المخبر عنه كما كنتم عميا عن الخبر [٢] فنفي رؤية العذاب هو توبيخ نابع من نفيهم وجوده في الدنيا، وذلك لأنهم يرونه في الأخرة ويشعرون به وبمصداق ما تحدث عنه الرسول(صلى الله عليه وآل وسلم)، فالذاكرة تتلاحق مع النص لتخترق جدار الزمن فبين التذكير بما سوف يحدث وهو ماثل امامهم عيانا، وارجاع الزمن إلى البدايات إلى رفضهم لما قيل ولما ذكر من براهين وآيات محكمات كذب هؤلاء بها أول الأمر ولم يؤمنوا على الرغم من صدقها وانطباقها على مفاهيم الحق لكن هؤلاء قد تمادوا في الطغيان ولم يرعوا إلى بعد أن شاهدوا العذاب عيانا قادما لأخذهم في جلباته .

وفي قوله تعالى ﴿﴿**إِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ**﴾﴾ (النحل:٨٥) ترتسم ملامح الصورة وفق مدار الذاكرة المستقبلية فيشرع أبواب جهنم أمام داخليها أمام المتجبرين بكفرهم فيرى الذين ظلموا العذاب فلا يخفف عنهم فالنص فيه أخبار الله تعالى هؤلاء الكفرة الظالمين في كفرهم إنهم إذا أراهم الله عذاب جهنم و شارفوها و تحققوا كنه شدتها، فإن ذلك الأمر الهائل الذي نزل بهم لا يخفف بوجه و لا يؤخر عنهم، و إنما مقصد الآية الفرق بين ما يحل بهم و بين رزايا الدنيا، فإن الإنسان لا يتوقع أمرا من خطوب الدنيا إلا و له طمع في أن يتأخر عنه و في أن يجيئه في أخف ما يتوهم برجائه، و كذلك متى حل به كان طامعا في أن يخف، و قد يقع ذلك في خطوب الدنيا كثيرا،

([١])ينظر– الهداية إلى بلوغ النهاية :١١/ ٧١٢٠ .

([٢])–تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل:٤/: ٤٠٩

فأخبر الله تعالى أن عذاب الآخرة إذا عاينه الكافر لا طماعية فيه بتخفيف و لا بتأخير[١]. فالنفي زيادة في الوعيد والتهديد وتأكيد على عدم حصول تأخير في العذاب، والذاكرة مرتبطة في ذات الفرد فهو أمام طلب التأخير حتى في ذلك المكان الذي لا رجاء فيه من الامر فكل شيء قد حدد ولا حدود للهرب مهما كانت الأماني مرسومة فنهاية العبد قد شارفت، وخاتمة الطريق قد ازفت، وما هي سوى لحظات حتى ينال الجزاء بما عمل أي أن الرجاء بحدوث المواقف ذاتها في الحياة الدنيا لا امل بحدوثه .

وفي قوله تعالى ﴿**وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ**﴾ (الاعراف: ١٩٨) وذكر الأندلسي (إن تدعوهم هو للأصنام ونفى عنهم السماع لأنها جماد لا تحس وأثبت لهم النظر على سبيل المجاز بمعنى أنهم صوروهم ذوي أعين فهم يشبهون من ينظر ومن قلب حدقته للنظر ثم نفى عنهم الإبصار كقوله يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا، ومعنى إليك أيها الداعي وأفرد لأنه اقتطع قوله: وتراهم ينظرون إليك من جملة الشرط واستأنف الإخبار عنهم بحالهم السيء في انتفاء الإبصار كانتفاء السماع، وقيل المعنى في قوله ينظرون إليك أي يحاذونك من قولهم المنازل تتناظر إذا كانت متحاذية يقابل بعضها بعضا (...)ومعنى الآية تبيين جمودها وصغر شأنها، قال: وإنما تكرر القول في هذا وترددت الآيات فيه لأن أمر الأصنام وتعظيمها كان متمكنا من نفوس العرب في ذلك الزمن ومستوليا على عقولها لطفا من الله تعالى بهم))[٢] فقد جاء النفي في سياق السورة الكريمة ممتدا عبر الآيات القرآنية لغرض تحقير تلك الاصنام وتصغير شأنها في نفوس الناس انذاك وبيان فقدانها لأبسط الحواس الانسانية.

---

(١) – المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز:٣/ ٤١٣

(٢) – البحر المحيط في التفسير:٥/٢٥٥.

وفي قوله تعالى: ﴿﴿**الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا**﴾﴾ (الكهف ١٠١) ذكر الزمخشري ((وعرضنا جهنم وبرزناها لهم فرأوها وشاهدوها عن ذكري عن آياتي التي ينظر إليها فأذكر بالتعظيم. أو عن القرآن وتأمل معانيه وتبصرها، ونحوه صم بكم عمي. وكانوا لا يستطيعون سمعا يعنى وكانوا سمعوعنه، إلا أنه أبلغ، لأن الأصم قد يستطيع السمع إذا صيح به، وهؤلاء كأنهم أصميت أسماعهم فلا استطاعة بهم للسمع)[١]، فالنفي في الأية المباركة حقيقي يراد به نفي السمع تعظيما لمصيبتهم وابتلاؤهم بعدم سماع صوت الحق المتمثل بذكر الله جل جلاله.

ومنها أيضا ما ورد في قوله تعالى ﴿﴿**وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ**﴾﴾ (فصلت: ٥) وذكر الرازي (واعلم أنه تعالى لما وصف القرآن بأنهم أعرضوا عنه ولا يسمعونه، بين أنهم صرحوا بهذه النفرة والمباعدة وذكروا ثلاثة أشياء أحدها: أنهم قالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وأكنة جمع كنان كأغطية جمع غطاء، والكنان هو الذي يجعل فيه السهام وثانيها: قولهم وفي آذاننا وقر أي صمم وثقل يمنع من استماع قولك وثالثها: قولهم ومن بيننا وبينك حجاب والحجاب هو الذي يمنع من الرؤية والفائدة في كلمة (من) في قوله ومن بيننا أنه لو قيل: وبيننا وبينك حجاب، لكان المعنى أن حجابا حصل وسط الجهتين، وأما بزيادة لفظ (من) كأن المعنى أن الحجاب ابتدأ منا وابتدأ منك، فالمسافة الحاصلة بيننا وبينك مستوعبة بالحجاب، وما بقي جزء منها فارغا عن هذا الحجاب فكانت هذه اللفظة دالة على قوة هذا الحجاب، وإنما وقع الاقتصار على هذه الأعضاء الثلاثة، وذلك لأن القلب محل المعرفة وسلطان البدن والسمع والبصر هما الآلتان المعينتان لتحصيل المعارف، فلما بين أن هذه الثلاثة محجوبة كان ذلك أقصى ما يمكن في هذا الباب. الامر الذي

---

(١) – تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل::٢/٧٤٩.

تأكدت عن طريقه النفرة عن الشيء وصارت في القلب فإذا سمع منه كلاما لم يفهم معناه كما ينبغي، وإذا رآه لم تصر تلك الرؤية سببا للوقوف على دقائق أحوال ذلك المرئي، وذلك المدرك والشاعر هو النفس، وشدة نفرة النفس عن الشيء تمنعها من التدبر والوقوف على دقائق ذلك الشيء، فإذا كان الأمر كذلك كان قولهم قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب استعارات كاملة في إفادة المعنى المراد، فإن قيل إنه تعالى حكى هذا المعنى عن الكفار في معرض الذم)[١] فالذاكرة الحسية تحركت ضمن مداليل السمع والبصر وكان النفي حاضرا ضمنيا فيها صحيح أنه لم يكن للأداة من وجود ولكنها حاضرة ضمن المعنى قابضة عليه محققة له فضلا عن إن علامات الكفر والرغبة فيه ظاهرة على سيماهم فهم قد اغلقوا كل ما يسهم في تحقيق المعرفة أو استقبال الدعاء للايمان كونهم قد استبدوا بالكفر وجعلوه هو المعين المتحصل متتبعين بتحصيله سبيل من سبقهم من العتاة والمتكبرين وأصحاب النفوذ .

وفي قوله تعالى ﴿**وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ (36) لَّا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ**﴾ (الحاقة ٣٦-٣٧) فالذاكرة الذوقية تتسامى في النص لبيان حال أهل الشرك عندما تحل بهم أفنان ذنوبهم في الدرك الأسفل من النار لينالوا جزاء فعلهم فيكون طعامهم من الغسلين و(الغسلين) بالكسر ما يغسل من الثوب و نحوه كالغسالة و ما يسيل من جلود أهل النار و الشديد الحر و المعنى و لا طعام الا من غسالة اهل النار و ما يسيل من أبدانهم من الصديد و الدم [٢] فيكون المعنى أن طعامهم من ضريع ليس من جنس ضريعكم إنما هو غير مسمن و لا مغن من جوع. و تحقيق ذلك أن جوعهم و عطشهم ليسا من قبيل ما هو المعهود منهما في هذه النشأة من حالة عارضة للإنسان عند

---

(١) – التفسير الكبير:٢٧/ ٥٤٠-٥٤١.

(٢) تفسير روح البيان:١٠/ ١٤٧ .

استدعاء الطبيعة لبدل ما يتحلل من البدن مشوقة له إلى المطعوم و المشروب بحيث يلتذ بهما عند الأكل و الشرب و يستغنى بهما عن غيرهما عند استقرارهما في المعدة و يستفيد منهما قوة و سمنا عند انهضامهما بل جوعهم عبارة عن اضطرارهم عند اضطرام النار في أحشائهم إلى إدخال شيء كثيف يملؤها و يخرج ما فيها من اللهب، و كذا عطشهم عبارة عن اضطرارهم عند أكل الضريع و التهابه في بطونهم إلى شيء مائع بارد ليطفئوه من غير أن يكون لهم التلذذ بشربه أو استفادة قوة به أنه تعالى يسلط عليهم الجوع بحيث يضطرون إلى أكل الضريع، فإذا أكلوه سلّط عليهم العطش فاضطروا إلى شرب الحميم فيشوي وجوههم و يقطع أمعاءهم[١] فيكون ما يأكلونه نكالا عليهم لا نفع منه ولا فائدة لايقي جوعهم ولا يرفع عطشهم بل يزيدهم عذابا والنفي هنا في مدار نقض وانكار ما ترتبط به ذاكرة الاكل والشرب في الدنيا فما يتحصل هنا من فائدة ذاهبة هناك وكل شيء سائر نحو زياده العذاب لا التخفيف منه.

(١) ينظر ـ روح المعاني:١٥/ ٣٢٤

الفصل الثالث

الأساليب البيانية وأثرها في تحقيق الذاكرة

المبحث الأول : التشبيه

المبحث الثاني :الأستعارة

المبحث الثالث :المجاز

المبحث الرابع : الكناية

توطئة .

ترتبط اللغة عموما علاقة وطيدة بالكائن البشري بحيث لا يمكننا أن نتصور أحدهما دون الآخر، ولا توجد جماعة إنسانية بدون لغة يتواصل أفرادها بها ويعبرون عن أفكارهم وحاجاتهم عن طريقها ، ومن هنا فإنها سمة الكائن الحي الذي يتميز بها عن غيره من المخلوقات، وقد عرَّف ابن جني اللغة على أنها: "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم

وإذا نظرنا إلى اللغة العربية بوجه خاص نجد أن الأمر أكثر إثارة؛ إلى إن اللغة العربية تتميز بقدرتها الكبيرة على الحفاظ على كيانها فلا توجد لغة على وجه البسيطة أقدر منها على الاستمرارية والنماء والديمومة بسبب تطوريتها واتساعها الدلالي وانميازها بخصائص لغوية من البيان بفروعه (التشبيه والكناية والاستعارة) والنحو والتصريف والبلاغة عموما والدلالة، وعلى الرغم من حدوث كثير من التطورات وزيادة المفردات الجديد التي تأتي لمواكبة الحياة ومتطلباتها، فإن العناصر الرئيسة في العربية لا تتغير على مر الزمان، كل ذلك بسبب الإسلام الذي يحتويها في عباداته وفرائضه وشعائره التي يؤديها المسلمون يوميا.

وفي هذا الفصل ستحاول الباحثة تتبع ما جادت به هذه اللغة من أساليب بيانية متوشحة بالذاكرة ضمن مناحي الآيات القرآنية الباهرة التي إزدانت بالصور الحية التي أسهمت بالتفوق اللانهائي للنص القرآني على النصوص الأخرى التي إنتجت من لدن البشر مهما كان إنتماؤهم اللغوي .

المبحث الأول : التشبيه .

التشبيه هو أحد الفنون البلاغية المهمة التي تعقد لغاية التوسع الدلالي للمفردة أياً كان نوعها وهو أحد فنون البيان

التشبيه لغة :هو (التمثيل أو المماثلة، يقال هذا شبه هذا تشبيهاً، أي مثله تمثيلاً، والشبه والشبيه : المثيل، والجمع : أشباه وأشبه الشيء : ماثله وبينهم أشباه، أي اشباه يتشابهون فيها، وشبه عليه خلط عليه الأمر حتى أشتبه بغيره وفيه مشابهه من فلان أي أشباه)[١]. وقد ورد في القرآن الكريم لفظ (شبه) ومشتقاته ثلاث عشرة مرة[٢]، منها قوله تعالى "وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم " (النساء : ١٥٧) وكذلك قوله تعالى ﴿﴿**وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه**﴾﴾ (الأنعام : ١٤١) .

وخلاصة القول :إن التشبيه لغة هو :التمثيل أو المماثلة، وهو أيضاً :المساواة والاستواء.

التشبيه اصطلاحاً :

التشبيه في اصطلاح البلاغيين هو: (التشبيه: صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة أو جهات كثيرة، لا من جميع جهاته، لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إياه، ألا ترى قولهم (خد كالورد) إنما أرادوا حمرة أوراق الورد وطراوتها، لا ما سوى ذلك من صفرة وسطه وخضرة كمائه))[٣] أو ((هو العقد على أن أحد الشيئين يسد مسد الأخر في حس أو عقل ولا يخلو التشبيه من أن يكون في القول أو في النفس فأما القول فنحو قولك : زيد شديد كالأسد فالكاف عقدت المشبه والمشبه به بالمشبه، وأما العقد في النفس فالاعتقاد لمعنى هذا القول، وأما التشبيه الحسي تشبيه ماء بماء أو ذهب بذهب يقوم أحدهما مقام الأخر ونحوه، وأما التشبيه العقلي نحو تشبيه قوة زيد بقوة عمرو،

---

(١) – لسان العرب :ابن منظور , مادة (شبه)

(٢) – المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم:٢/ ١٢٣.

(٣) – علم البيان : ٦١ .

فالقوة لا تشاهد ولكنها تعلم سد مسد أخرى والتشبيه على وجهين تشبيه شيئين متفقين بأنفسهما وتشبيه شيئين مختلفين لمعنى يجمعهما مشترك بينهما فالأول كتشبيه الجوهر بالجوهر تشبيه السواد بالسواد والثاني كتشبيه الشر بالموت والبيان بالسحر الحلال والتشبيه البليغ إخراج الاغمض إلى الأظهر بأداة التأليف مع حسن التأليف))[١].

كان للتشبيه الاثر الواضح والأكبر في الحضور والجمالية في الذاكرة في القرآن الكريم ومن أمثلة ذلك قوله تعالى ﴿ **وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ...**﴾ (المنافقون :٤)فالتشبيه هنا في قوله تعالى "كأنهم خشب مسنده " التشبيه في هذه الآية (التشبيه المرسل التمثيلي شبهوا في جلوسهم مجالس المنافقين عند تواجدهم مع رسول الله (صلى الله عليه وآل وسلم) مستندين فيها وما هم إلا أجرام خالية عن الأيمان والخير بخشب منصوبه مسنده إلى الحائط في كونهم أشباحاً خالية عن الفائدة ؛ لأن الخشب تكون مسندة إلى الحيطان شبهوا بها في حسن وقلة جدواهم)[٢]، ووجه الشبه كون الجانبيين أشباحاً خالية عن العلم والنظر.

فالصورة القرآنية في الآية المباركة رسمت مشهداً ايحائياً اخاذاً في توصيف حال من هم في مدارك سقط المتاع ومن هم ذوات وجود جسماني لا يقدم ولا يؤخر في الأمر شيئاً .

فالمنافق على الرغم من شدة الأذى الذي يسببه للمجتمع وللنبي محمد o قبله عندما كشف من لدن الله تبارك وتعالى وعلمت صفته أصبح لا يقدم شيئاً ولا يؤخر وأصبح كالخشبة المسندة التي لا خير فيها تنحر فتتأكل [٣]، فتدوي وتذهب هباءً فهم بلا

---

(١) – ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الكريم: ١٨ .

(٢) – الجدول في اعراب القرآن الكريم وصرفه وبيانه مع فوائد نحوية هامة : ٢٥٦.

(٣)ينظر – التبيان في تفسير القرآن : :١٠/ ١٢ .

عقول ولا قلوب ولا اسماع فهم كالأشباح التي لا روح فيها سوى أن ظاهرها جميل وباطنها لا يفيد وكذلك المنافق ظاهره معجب رائع وباطنه عن الخير زائغ [١] وكلّ هذا تفجرت به اللغة بإشاراتها وعباراتها السيميائية المحيلة إلى مشارف مخاتلة لتصف الجو العام للمجلس الذي كان فيه رسول الله (صلى الله عليه وآل وسلم) فبعض من يحيط به ليس لهم من الله شيئ سوى كمال الأجسام ولكنهم مرضى العقول والقلوب .

وفي قوله تعالى ﴿**وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ**﴾ (البقرة :١٧١)ففي هذه الآية ورد التشبيه مرسلاً مجملاً فمرسل لذكر أداة التشبيه ومجمل لحذف وجه الشبه وفي خاصية هذا النوع من التشبيه شبه الكفار بالبهائم التي تسمع صوت المنادي دون أن تقفه كلامه وتعرف مراده[٢] فـ ((مثل الذين كفروا كبهائم الذي ينعق، والمعنى : ومثل داعيهم إلى الإيمان –في أنهم لا يسمعون من الدعاء إلا جرس النغمة ودوي الصوت، من غير إلقاء أذهان ولا استبصار –كمثل الناعق بالبهائم، التي لا تسمع إلا دعاء الناعق ونداءه الذي هو تصويت بها وزجر لها، ولا نفقه شيئاً آخر ولا تعي كما يفهم العقلاء ويعون ويجوز أن يراد بما لا يسمع: الأصم الأصلخ، الذي لا يسمع من كلام الرافع صوته بكلامه إلا النداء والتصويت لا غير من غير فهم للحروف وقيل معناه : ومثلهم في اتباعهم آباءهم وتقليدهم لهم كمثل البهائم التي لا تسمع إلا ظاهر الصوت ولا تفهم ما تحته ؛فكذلك هؤلاء يتبعوهم على ظاهر حالهم ولا يفقهون أهم على حق أو باطل)) [٣]

فضلاً عن ذلك إن في النص إشارة بعيدة متمثلة في صوت النعق والناعق هو الغراب رمز الشؤوم والأذى لدى العرب فالكافر مهما فعل فإن أفعاله زائلة لا نفع فيها

---

(١) ينظر– مجمع البيان في تفسير القرآن :١٠/ ٤٤٠ .

(٢) – صفوة التفاسير: ٣ / ١٢٨.

(٣) – تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل:١/٣٥٦–٣٥٧

على الرغم من الأذى النفسي الذي تؤديه ولكنه أذى متحصل بسب مداخل النفس مثله كمثل ما يتحصل عن طريق نعق الغراب فهو مؤذي نفسياً لمن يجعل لصوته من أثر غيبي وكأنه اشارة إلى ما سيقع من مصيبة لكنها على وجه الحقيقة مؤثرات متأنية ضمن العادات والتقاليد لا غير وكذلك الكافر لا أثر لكلامه على مدار المسلمين .

وفي قوله تعالى ﴿﴿**اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾﴾ (النور:٣٥) التشبيه في هذه الآية ((التشبيه المرسل فقد جاء التشبيه هنا بواسطة الأداة وهي الكاف والمراد أن النور الذي شبه به الحق نور متضاعف قد تناصر فيه المشكاة والزجاجة والمصباح والزيت حتى لم تبق بقية مما يقوي النور ويزيده إشراقاً ويمده بإضاءة وذلك أن المصباح إذا كان في مكان متضايق كالمشكاة كان أضوأ له وأجمع لنورة بخلاف المكان الواسع فإن الضوء ينبت فيه وينتشر))[١].

فالمشكاة كلمة اسهمت في رص جملة من التفسيرات فهي نور الهداية التي يجعله الله في قلوب المؤمنين أي الايمان الذي استقر في قلوبهم، وعند بعضهم هي القرآن نفسه الذي ينير قلوب الناس، واشار بعضهم إلى أنها شخص النبي محمد (صلى الله عليه وآل وسلم) أو هي أدلة التوحيد والعدل الإلهي ؛ وكلّ هذه التفسيرات تصب في بوتقة واحدة ترمز إلى أنها نور الهداية بذاته ومصدره القرآن والوحي ووجود الانبياء وينهل من أدلة التوحيد ونتيجته التسليم بحكم الله والتمسك بالنفوس[٢]، وقد تحيلنا الآية المباركة إلى تأويل آخر مقارب في عناصره لما تقدم ولكنه يرمز ويشير إلى أمر آخر،

---

(١) – الجدول في اعراب القرآن : ٢٦٤-٢٦٥

(٢)ينظر – الامثل في تفسير كتاب الله المنزل :١١/ ١٠٧ .

فالمشكاة فاطمة (عليها السلام)، والمصباح، الحسن والحسين (عليهما السلام) والزجاجة كأنها كوكب دري، فاطمة فهي كوكب دري يبين نساء العالمين، يوقد من إبراهيم، ومحمد (عليهما السلام)[١]، والدليل في هذه الآية المباركة اللاحقة ﴿في بيوت أذن الله ان ترفع فيها ﴾

فهي واضحة واشارة مقنته في أنها في خصم الكلام عن أهل بيت النبوة فهم المشكاة وهم المصباح وهم النور المبين الذي غطى البسيطة بجواهر عطره .

وفي قوله تعالى ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ**﴾﴾ (البقرة :١٦٥)التشبيه في هذه الآية هو (الأصل في تشبيه اسم بمثلة أن يكون تشبيهاً فرداً من الحقيقة بأخر منها وقد علمت أنه غير متعين وقوله ((كحب الله مفيد لمساواة الحبين ؛لأن أصل التشبيه المساواة وإضافة حب إلى اسم الجلالة من الإضافة لمفعول فهو بمنزلة الفعل المبني إلى المجهول فالفاعل المحذوف حذف هنا لقصد التعميم أي كيفما قدرت حبّ محب الله فحبّ هؤلاء لأندادهم مساو لذلك الحب ووجه هذا التعميم أن أحوال المشركين مختلفة فمنهم من يعبد الأنداد من الأصنام أو الجن أو الكواكب ويعترف بوجود الله ويسوي بين الأنداد وبينه ويسميهم شركاء أو الكواكب ويعترف بوجود الله ويسوي الأنداد وبينه ويسميهم شركاء أو ابناء الله تعالى ومنهم من يجعل لله تعالى الإلهية الكبرى ويجعل الأنداد شفعاء إليه))[٢]، فهم يحبون الأنداد كحب المؤمنين لله[٣]، فالنص مدح للمؤمنين على محبتهم، وهجاء للمشركين

---

(١)ينظر – البرهان في علوم القرآن :١٤٦/٤.

(٢) – تفسير التحرير والتنوير : :٢/ ٩١ .

(٣)ينظر – معاني القرآن: ١/ ٩٧ .

على كفرهم فكيف تهوى أنفسهم وتشبه حباً بمعمول لهم، صنعته أيديهم، ونحتته عقولهم القاصرة بالشكل المخز الذي وضع فيه جماداً لا يضر ولا ينفع، من معدن حقير قد وضع[١]، فالنص إشارة واضحة ومدار اجتماعي بين يستعمل مقارنة بين حب الله الواحد القهار حب لا غاية فيه ولا تجمل وحب أصنام لا نفع فيها وغايتها أن تقربهم لله زلفى.

وفي قوله تعالى ﴿ **الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾ (البقرة :٢٧٥) يوجد في هذه الآية اكثر من تشبيه حيث شبه آكلي الربا عند خروجهم من أجداثهم بقيام المتخبط المصروع الذي أصابه الجنون كما يقال لمن يسرع بحركات مختلفة قد جن، فهم في حرصهم ونشاطهم في معاملات الربا كقيام المجنون تنسيعاً لجشعهم، وكذلك هو تشبيهاً لما يعجب الناس من استقامة حالهم ووفرة أموالهم، وقوة تجارتهم بما يظهر من حالات الذين يتخبطهم الشيطان قوياً سريع الحركة، مع إنه لا يملك لنفسه شيئاً فالآية على المعنى الحقيقي وعيد لهم بابتداء تعذبيهم من وقت القيام لوقت الحساب إلى أن يدخلوا النار ، وهي بهذا المعنى المجازي تشيع أو توعد بسوء حال الدنيا ولقي المتاعب ومرارة الحياة تحت صورة يخالها الرائي مستقيمة[٢]، فالإشارة في حقيقتها كانت مرسومة سمعياً لا روئياً فلم ير أحدًمن الناس، كيف يؤثر في صفاته ويجعله متخبطاً من المس فأشار بالصور السلبية وجعلها منظاراً لشيء إيجابي هو السعي والجد في طلب الرزق ولكنه قد انحرف في الطلب فكان طلباً في الحرام وسعياً في تحصيل الدينار والدرهم بالسبل المنحرفة التي لا وازع اجتماعي فيها، أما التشبيه الثاني في قوله تعالى" إنما البيع مثل الربا" أرادوا نظمها في سلك واحد

---

(١)ينظر – لطائف الاشارات :١/١٤٤ .

(٢)ينظر – تفسيرالتحرير والتنوير :٢/ ٥٤٩ .

لافضائهما إلى الربح وقد جعلوا الربا أصلا في الحل وشبهوا البيع به للمبالغة وهذا يسمى في علم البلاغة بالتشبيه المقلوب ويجوز أن يكون التشبيه غي مقلوب بناء على ما فهموه أن البيع إنما حل لأجل الكسب والفائدة وذلك في الربا متحقق وفي غيره موهوم[١]

وورد التشبيه أيضاً في قوله تعالى ﴿﴿**كَأَنَّهُم يَومَ يَرَونَهَا لَم يَلبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَو ضُحَىٰهَا** ﴾﴾ (النازعات :٤٦) فالتشبيه في هذه الآية هو تشبيه مرسل مجمل ((والمعنى أن ما أنكروه سيرونه حتى كأنهم أبدا فيه وكأنهم لم يلبثوا في الدنيا إلا ساعة من نهار ثم مضت فإن قيل قوله :أو ضحاها معناه ضحى العشية وهذا غير معقول لأنه ليس للعشية ضحى))[٢]، والعشية في قوله تعالى ((معبر بها عن مدة يسيرة من زمان طويل على طريقة التشبيه، وهو مستفاد من كأنهم، فهو تشبيه حالهم بحالة من لم يلبث إلا عشية، وهذا التشبيه مقصود منه تقريب معنى المشبه من المتعارف، وقوله : أو ضحاها تخيير في التشبيه على نحو قوله تعالى : {أو كصيب من السماء } في سورة البقرة (١٩)وفي هذا العطف زيادة في تقليل المدة ؛لأن حصة الضحى أقصر من حصة العشية))[٣] ، فالحال لأهل الشرك كأنهم حين يرونها أي((يعاينون القيامة لم يلبثوا في الدنيا، وقيل في قبورهم الاعشية أو ضحاها، أي قد آخر النهار من بعد العصر أو أوله إلى أن ترفع الشمس))[٤] فالوقت هو الحاكم وهو الموجه لأرواح، هؤلاء فشبه حالهم عندما يرون القيامة ويعرفون بصدق فعال الرسول(صلى الله عليه وآل وسلم) يتبادر إلى

---

(١)ينظر – الجدول اعراب القران : ٧٤ .

(٢) – مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) :٣١/ ٥١.

(٣) – التحرير والتنوير:٣٠/ ٩٨ .

(٤) – زاد المسير في علم التفسير ::٤/ ٣٩٨ .

أذهانهم إن مقدار ماعاشوه في الدنيا لا يتجاوز وقت الضحى أو العشاء لبيان قلة هذا الوقت بمقابل يوم القيامة وأهواله .

ومنها أيضا ما ورد في قوله تعالى ﴿﴿**وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا** ﴾﴾ (الإنسان:١٩)، التشبيه في هذه الآية تشبيه ((إنما شبههم بالمنثور، لأنهم سراع في الخدمة، بخلاف الحور العين إذ شبههن باللؤلؤ المكنون المخزون، لأنهن لا يمتهن بالخدمة))[١] فيقوم هؤلاء الغلمان على خدمتهم بكأس مسيراه من الدنس وهم صباح أبرياء فيهم نظافة وفيهم صيانه وفيهم نداوة[٢]، واللؤلؤ المكنون، هو اللؤلؤ داخل صدفةً وهو في هذه الحالة شفاف وجميل إلى درجة لا توصف[٣]، فالتمثيل القرآني أتى لهؤلاء الغلمان كأنهم اللؤلؤ الذي لم يمس، اشارة إلى صفاء سرائرهم ونواياهم فأرواحهم كالبياض الناصع الذي حفظ داخل صدفته ولم يحس بسوء اشارة بصرية تسهر النفوس وتقربها الاعين وتتماهر بها النفوس، فتعميم بحثه بهذه الدرجة من التقاء الذي فلما يراه الإنسان في حياته العامة فيصبح لتحصيله يتطلب لعبادة وكل هذا من سبل الترغيب فيما سوف يجنيه العبد إذا ما قدم بين يدي ربه نحلة الايمان والعبادة.

وفي قوله تعالى ﴿ **مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالأَعْمَى** ﴾ (هود:٢٤) ، ورد في هذه الآية تشبيه مرسل مجمل لوجود أداة التشبيه وحذف وجه الشبه أي مثل الفريق الكافر كالأعمى والأصم في عدم البصر والسمع والفريق المؤمن كالسميع والبصير، ويقول ابن عاشور ((بعد أن تبين الاختلاف بين حال المشركين المفترين على الله كذباً وبين حال الذين، آمنوا وعملوا الصالحات في منازل الآخرة أعقب ببيان التنظير بين حالي الفريقين المشركين والمؤمنين بطريقة تمثيل ما تستحقه من ذم ومدح، فالجملة فذلكة للكلام

---

(١) – الجامع لإحكام القرآن طبي :١٩/١٤٤ .

(٢) ينظر – في ظلال القرآن :٦/ ٣٣٩١ .

(٣) ينظر – الأمثل في كتاب الله المنزل :١٧/ ٦٧٤.

وتحصيل له وللتحذير من مواقعة سببه، والمثل بالتحريك :الحالة والصفة))[١] فالمشترك يرسم له خطا بيانياً لأفعاله وكأنه يسير في حياته كسير الأعمى الذي لا يرى أمامه فيتخبط بالأشياء جميعها لا يهتدي إلى مكان سيء منها.

وفي قوله تعالى ﴿﴿**وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾﴾ (التوبة :٦١)، والأصل كالأذن يسمع كل ما يقال له فحذفت أداة التشبيه ووجه الشبه فصار تشبيهاً بليغاً، فيما يراه محمود صافي مرسل فيقول ((المجاز مرسل :في قوله تعالى " هو أذن" وهي في الأصل اسم للجارحة، وإطلاقها على الشخص بالمعنى المذكور من باب المجاز المرسل، كاطلاق العين على ربيئة القوم حيث كانت العين هي المقصودة منه، وذلك من اطلاق الجزء على الكل، والعلاقة تسمى الجزئية))[٢] فالصفة السيئة التي رسمت لوصف الرسول الأكرم(صلى الله عليه وآل وسلم)، أدخلها القرآن في باب الرحمة للمؤمنين فهم أمام ناظري وأمام سمعه يعلم ما يحدث لهم ويرعاهم في حلهم وترحالهم يسمعهم الكلم الطيب ويزيد في مقدار ايمانهم وينظم لهم شؤون حياتهم وآخرتهم.

حقق التشبيه بعلاقته البسيطة والمحببة والواضحة بعض الشي مداليل عديدة في حكم المشابهة فهو ينقل المتلقي إلى أزمان سحيقة لحوادث مرت أمام من سبقهم ليبني مشاهد سيميائية تكون علامات على ما يحدث الأن الاولى اخذت سبيلها والثانية كانت مؤمنة لوجود رسول الله(صلى الله عليه وآل وسلم) الكثر فيها، أي إن الذاكرة في التشبيه كانت ذاكرة مرسومة للأقناع في إن ماذكر هو عين الصواب وهو الأساس الذي يجب أن يتتبع إذا ما أريد لهذا المجتمع أن يتطور.

---

(١) – تفسير التحرير والتنوير :١٣/٤٠ .

(٢) – الجدول في اعراب القران : ٢/ ١٤٠.

المبحث الثاني :الاستعارة .

عنيت الاستعارة باهتمام خاص من قبل البلاغيين والفلاسفة، والمناطقة و النقاد قديماً وحديثاً ؛ وذلك لإدراجها ضمن مفهوم المجاز وليس هذا فقط، بل أنها وصفت ناقلة للمعنى من مكان إلى مكان آخر، وهذا النقل ضمن مشروطية الاشتراك ويوجد أيضاً بينها آلية استدلالية تكون جزءاً حياً للثاني[١] فهي من الأساليب اللغوية التي اكتسبت عناية كبيرة من لدن كل من تقدم ذكره لدخولها في ضروب المعارف التي ابحروا فيها .

الاستعارة لغة :

والاستعارة في اللغة ((مشتق من (العارية)، وتعني: نقل الشيء من شخص إلى آخر، حتى تصبح هذه العارية من خصائص المُعار له[٢]، وذكر ابن منظور في لسان العرب أن العارة، والعارية: ما تداولوه بينهم، وقد أعارة الشيء وعاوره إياه وأعاره منه، والتعاور والمعاورة شبه المداولة، والتداول في الشيء يكون بين اثنين... وتعور واستعار: أي طلب العارية، واستعار الشيء واستعار منه: أي طلب منه أن يُعيره إياه)) [٣] .

الاستعارة اصطلاحا :

الاستعارة من أهم مباحث علم البيان في البلاغة العربية وقد اهتم بها علماء اللغة القدماء أيما اهتمام فعرفوها وقسموها ومثلوا لها، فقد عرفها ابو هلال العسكري بأنها ((نقل العبارة من موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض إما أن يكون شرح المعنى وفضل الابانة عنه أو تأكيده والمبالغة في القليل من اللفظ أو تحسين المعرض الذي يبرز فيه))[٤]. وحدد الرماني الاستعارة بقوله ((هي تعليق العبارة على غير ما وضعت له في

---

(١) – ينظر: أسلوبية الحجاج التداولي و البلاغي (التنظير و التطبيق على السور المكية) : ١٧٧

(٢) – معجم المصطلحات البلاغية وتطورها١٣٦.

(٣) – لسان العرب مادة (عور) : ٩ / ٢٩ .

(٤) –كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر) : ٢٦٨.

أصل اللغة على سبيل النقل)[١]. فالاستعارة هي استعمال لفظة في غير ما وضعت له في الأصل لعلاقة قائمة بين المعنيين الأصلي والمجازي وهي علاقة المشابهة مع قرينة ملفوظة أو ملحوظة تمنع إرادة المعنى الحقيقي الذي وضع له))[٢]؛ فالاستعارة وسيلة لغوية يستعملها المتكلم لكي يصل إلى أهدافه الحجاجية، التي يستطيع عن طريقها إقناع المتلقي، وجعله يصغي إلى الخطاب الموجه له بوساطة الجمالية الموجودة في الاستعارة، وما تترك من أثر في ذهن المخاطب[٣].

و الاستعارة أيضاً ((فن محاكاتي، وأداة معرفة، وأداة الاقتراب من الحقيقة))[٤]، فهي تحاكي النفس الإنسانية وتؤثر فيها، فأثرها((يحدث من خلال ضم المألوف إلى ما هو غير مألوف، فهي تضيف السحر والاختلاف إلى جانب الوضوح))[٥]، لأن الكلام البليغ له أعظم أثر في نفس متلقيه فضلا عن اثرها في تحريك قافلة العقل نحو سبل الغموض وتحريك الذهن نحو توريد الأفكار لما هو منتج من رسالة متوشحة بالذاكرة أيا كان نوعها ورسمها، فهي تحمل في مضانها ذكريات المبدعين ومراسيم انسيابها في ذائقة المحدثين .

ومن المواضع التي ترد فيها الاستعارة وهي محملة بالذاكرة في القرآن الكريم قوله تعالى ﴿﴿**وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا**﴾﴾ (الإنسان (٢٠) فالذاكرة البصرية تبرز في النص ضمن مدار الاستعارة التي ترتسم بعبارة ((وإذا رأيت هناك ما في الجنة من مظاهر الأنس والسرور، رأيت نعيماً لا يكاد يوصف، وملكا واسعا عظيماً لا غاية له، كما في الحديث القدسي أعددت لعبادي الصالحين؛ ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر

---

(١) – البديع في البديع:١/ ١.

(٢) – اساليب البيان في القرآن: ٤٦٣ .

(٣) . ينظر: نحو مقاربة حجاجية للأستعارة: ٨١.

(٤) . الاستعارة الحية : ١٠.

(٥) . الاستعارة : ٢٠.

... فإذا كان هذا عطاؤه تعالى لأدنى من يكون في الجنة، فما ظنك بمن هو أعلى منزلة وأحظى عنده تعالى؟))[١] ((والكبير مستعار للعظيم وهو زائد على النعيم بما فيه من رفعة وتذليل للمصاعب))[٢]. فالمستعار (كبيرا) محققا حسا كذلك يمكن أن نشير إلى الملك بأنه كبير فـ (رَأَيْتَ نَعِيماً) لا يوصف، و النعيم سائر ما يتنعم بهَ. مُلْكاً كَبِيراً لا يقادر قدره، و قيل واسعا لا غاية له، و قيل كون التيجان على رؤوسهم كما تكون على رؤوس الملوك و أعظمهم منزلة من ينظر إلى وجه ربه كل يوم [٣] و حتى نفهم معنى كلمة «كبيرا» يجب أن ننظر إليها على أساس أنّها تعبير عن أربعة أمور، هي: الكثرة، و الحجم، و التنوّع، و العظمة. و تكرار كلمة «رأيت» يأتي لبيان أنّك مهما تكرّر بنظرك و تعيد الرؤية فإنّك لا تستطيع أن تصل إلى حدّ ملك الأبرار من النعيم في الجنة، و إنّما تعلم بصورة مجملة أنّه نعيم و ملك كبير.و كفى به عظمة وسعة أنّه يزداد مع الزمن بفضل الله و كرمه المتتابع على أهل الجنة. [٤] فالنص يضمن في مداه سرمدية العطاء وتواصله، واستمرار العطايا دون دون توقف أو تقتير فما هو متحصل لايمكن لحدود قدرة العقل البشري حده أو تحديد مداه ؛ لأن علمه مختص بالذات الآلهية حصرا فحدود العطاء لانهاية لها وكل ما وقف الإنسان على حد منها تعداه الى مراتب اسمى، وإلى عطايا أكبر .

ومنها أيضاً ماورد فيها من قوله تعالى: ﴿﴿**يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ (٤٨) إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**﴾﴾ (القمر (٤٨) ((أي: كما كانوا في سعر وشك وتردد أورثهم ذلك النار، وكما كانوا ضلالا سحبوا فيها على وجوهم لا يدرون أين

---

(١) –صفوة التفاسير :٣/ ٤٨٢ .

(٢) –التحرير والتنوير:٢٩/398 .

(٣)ينظر– فتح البيان فى مقاصد القرآن:٧/ ٣٠٥ .

(٤) ينظر:من هدى القرآن:١٧/ ١٧٠ .

يذهبون ويقال لهم تقريعا وتوبيخا: (ذوقوا مس سقر))[١] وفي الآية استعارتان: الاستعارة الأولى في (ذوقوا). أستعير الذوق للإحساس)[٢]، فشبه النار بالطعام وحذف المشبه به (الطعام) والقرينة الدالة عليه هي (ذوقوا) على طريقة استعارة مكنية.((والاستعارة الثانية في (مس سقر)؛ لأن النار إذا أصابتهم بحرها ولحقتهم بآلامها فكأنها تمسهم مسا بذلك كما يمس الحيوان ويباشر بما يؤذي ويؤلم وهو مشعر بأن في الكلام استعارة مكنية))[٣] فمس النار سبب للتألم بها علة لتفسير «مس سقر» بحر النار و ألمها، يعني أن مس النار لما كان سببا للتألم بها صح أن يعبر عن المس بالتألم و الاحتراق [٤]، و في ظل هذا المشهد المروع المزلزل يتجه بالبيان إلى الناس كافة، و إلى القوم خاصة. ليقر في قلوبهم حقيقة قدر الله و حكمته و تدبيره .إن ذلك الأخذ في الدنيا، و هذا العذاب في الآخرة. و ما كان قبلهما من رسالات و نذر، و من قرآن و زبر.و ما حول ذلك كله من خلق و وجود و تصريف لهذا الوجود إن ذلك كله، و كل صغيرة و كبيرة مخلوقة بقدر، مصرفة بقصد، مدبرة بحكمة. [٥] .

فالعذاب الإلهي المتحقق عن طريق الاستعارة الممزوجة بالذاكرة المستقبلية التي رسمت ضمن مدار مهول لوصف بيّن لما سوف يحيق بالعباد يوم البعث فالاذاقة وكان القوم يعملون كما يحدث اثناء الطعام فأول الامر يتحرك ضمن مدار حاسة التذوق، فتحرر المس من نطاق اللسان فأصبح شاملا للجسد كه وبداية مسه هو الجلد ولكن المس هنا مس لا يقدر عذابة ولا يمكن أن يحد أو يحتسب وربما يكون الخطاب إن اول المس

---

(١) –تفسير القرآن الكريم: :٧/ ٤٥٠.

(٢) –التحرير والتنوير:٢٧/ ٢١٥ .

(٣) –روح المعاني :٢٧/ ٤٩٨.

(٤)ينظر– حاشية محيى الدين شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي:٨/٤٥ .

(٥) ينظر– في ظلال القرآن، :٦/ ٣٤٢٣ .

وهو الأقل شدة ولا طاقة لكم بها فكيف إذا أذن للعاصين بالدخول ضمن أتونها اللاهب، فصفة المس وما توهج منها من إشارات هي مرادف لبداية الطريق وأول خطوات العبد المنطلقة نحو أديم جهنم ووسطها وأعظم سبل العذاب فيها .

ومنها أيضاً قوله تعالى ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزاً حَكِيماً**﴾ (النساء (٥٦) تسمى بالاستعارة التصريحية التبعية يعنى ما صرح فيها بلفظ المشبه به بالفعل والأصل الذوق باللسان فاستعير إلى الألم الذي يصيب الإنسان[١] فلذلك المستعار : لفظ (يذوقوا) والمستعار منه معنى (يذوقوا) والمستعار له (الألم)، والإذاقة قال عنها الزمخشري: الإدراك بالذوق يستلزم الإدراك باللمس من غير عكس فكأن في الاذاقة إشعار بشدّة الاصابة، فالإذاقة ما يدرك من طعم بالفم فاستعيرت للإصابة و أثرت الدلالة على شدة التأثير التي تفوق لو استعملت الاصابة، ووجه الشبه بينهما شدة الاحساس بالأثر[٢] ووظيفة الاستعارة في هذه الآية هي للتنبيه على شدة تأثيره من حيث أن القوة الذائقة أشد الحواس تأثيراً أو على سرايته للباطن ولعل السر في ((تبديل الجلود مع قدرته تعالى على ابقاء أدراك العذاب وذوقه بحال مع الاحتراق أو مع بقاء ابدائهم على حالها مصونة عنه أن النفس وبما تتوهم زوال الادراك بالاحتراق ولا تستبعد كل الاستبعاد أن تكون مصونة عن التألم والعذاب صيانة بدنها عن الاحتراق))[٣].

فـ«لِيَذُوقُوا الْعَذابَ» معناه ليجدوا ألم العذاب و إنما قال ذلك ليبين أنهم كالمبتدأ عليهم العذاب في كل حالة فيحسون في كل حالة ألما لكن لا كمن يستمر به الشيء فإنه

---

(١) ينظر– صفوة التفاسير: ٢٨٣.

(٢) – ينظر : تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: ٥٨٦/٤ .

(٣) – روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني:٥/ ٦٠

يصير أخف عليه[١] بحكم التعود على الشيء؛ لأن المقصود من ذكر الذوق الاخبار بأن إحساسهم بذلك العذاب في كل حال يكون كاحساس الذائق المذوق، من حيث أنه لا يدخل فيه نقصان و لا زوال بسبب ذلك الاحتراق.[٢] فالاذاقة هي الرسم المعتمد في أول الأمر وهؤلاء سيخلدون في عذابهم دون توقف والذاكرة في كل هذا رسمت للمستقبل برهن الحاضر فالذوق تلك الحاسة المتجذرة في الإنسان تتعامل يوميا مع أنواع الأطعمة فكيف بها عندما يكون طعم من يتلظى بالدرك الأسفل من النار؟ والاذاقة هنا مستمرة للجلد وغيره من أجزاء الجسم إذاقة مستقبلية الحدوث وهي باقية سرمدية لاتنقطع مهما استبدلت جلود القوم؛ لأن العذاب شامل لكل أجزاء الجسم والروح أيضاً .

ومنها أيضاً ما ورد في قوله تعالى ﴿**اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ (البقرة (٢٥٧) فالاستعارة في هذه الآية استعارة تصريحية ((فكلمتا "الظلمات" و"النور" استعملنا في غير معناها الحقيقي على جهة الاستعارة للكفر والإيمان والظلالة والهدى إذ شبه الكفر والظلال بالظلمات بجامع عدم الاهتداء، فاستعير لفظ المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التصريحية؛ لأنه صرح بلفظ المشبه به وشبه الإيمان والهدى بالنور بجامع الهداة في كل ثم حذف المشبه واستعار لفظ المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التصريحية كأنه قال لتخرج الناس من الكفر والظلال الذين هما كالظلمة إلى الإيمان والهدى اللذين هما كالنور))[٣] واللفظ لفظ المستقبل و المراد به الماضي، يعني أخرجهم. ويقال: ثبتهم على الاستقامة كما أخرجهم من الظلمات. و يقال: يخرجهم من الظلمات، أي من ظلمة الدنيا و من ظلمة

---

(١) ينظر– جامع البيان في تفسير القرآن :٥/ ٩٠ .

(٢)ينظر– التفسير الكبير:١٠/ ١٠٥ .

(٣) –اساليب البيان في القرآن: ٥٢٤–٥٢٥

القبر و من ظلمة الصراط إلى الجنة. [١] فالذاكرة البصرية تتحرك في افانين النص فالظلام والنور من مواردها الأساس بها يتعارفا ومنها استمدا التسمية ولكنها أتت في هذا الموضع على سبيل الاستعارة لبيان حال المؤمن والكافر في الدنيا والآخرة، فضلا عن الإشارة على الأمر بنوع من الترميز السيميائي فالنور هو مقياس الأثر المتحقق في انعكاسه على العين وهو هنا مقدار الأثر المتحقق بسبب هداية الرب والايمان به، أما الظلال فهو العتمة وانغلاق الضوء وعدم تحركه في سرابيل الفراغ وهنا المقصود بالكفر فعدم تحرك النور إلى تلك القلوب بسبب انغلاقها جعلها غير متيقنة ومصدقة بوجود الإيمان وبصدق الدين وبوجود الرب المعبود وهذا الانغلاق جعل هؤلاء في ظلالهم يعمهون لا يتقدمون أنملة في سبيل الهداية الربانية .

ومنها أيضاً ماورد في قوله تعالى﴿﴿**فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا، ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا، نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى، وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا**﴾﴾ (سورة الكهف١٤.٩) . فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ يقصد به منعناهم الإحساس بآذانهم من غير صمم . فكأن الاستعارة قصدت إلى هذا التصوير السمعي فيعني جل ثناؤه بقوله (فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ) أي ألقينا عليهم النوم ومنعْناهم أن يسمعوا، لأن النائم إذا سمع انتبه. فالمعنى أنمناهم، ومنعناهم السمعِ[٢]. وقال بعضهم أن معنى ضربنا على آذانهم أي أمتناهم، ومنعناهم الإدراك، [٣]فوهبهم الله جل وعلا الحفظ والمنعة من أن يقعوا في يد اعدائهم بل حفظهم في كهف وهم نيام تزاور عليهم الشمس ذات اليمين وذات الشمال ليكونوا أية

---

(١)- ينظربحر العلوم، :١/ ١٧٠

(٢)- ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٣ / ٢٧١.

(٣)- ينظر: الأزمنة والأمكنة: ٢٩.

للعالمين وليحفظوا بإيمانهم لكل ذلك وهم في رعاية الرب الوهاب المنان الذي انجاهم بقدرته ورحمته، فالذاكرة في النص ترتسم في قصة هؤلاء الفتية وهي هنا تذكر يقينا ما حدث لهم بعد أن أغلقت في وجههم السبل وفروا بدينهم من جبروت الظلم وأعوانه فكان الضرب على سبيل الاستعارة في الكهف أي كان مغزاه إشارة على القدرة الربانية في الحفظ والقدرة على البعث والنشور وإلى حفظ الجسد والروح دون أي كلل او ملل لأنه القادر الأوحد على الاكرام والهداية .

اسهمت الاستعارة بأنواعها الواردة كافة والتي تمازجت مع أفانيين الذاكرة على غفلته النص، واحكمته فضلاً عن أثرها المتوشب في اضفاء صورة الحياة على الشخوص فيه كما اسهمت في خلخلة الازمان وربط الماضي بالحاضر فالذاكرة فيها وكأنها ذاكرة مستقبلية لما هو حادث في زمان آخر و جديد مرسوم ضمن أسس لا لبس فيها ولا خرم .إنه ألزمن السرمدي تيسير المنقطع والدائم في خلود .

المبحث الثالث : الكناية .

الكناية في اللغة من الفعل كني فـ(كنى فلان، يكني عن كذا، وعن اسم كذا إذا تكلم بغيره مما يستدل به عليه، نحو الجماع والغائط، والرفث، ونحوه. والكنية للرجل))[١] وفي التهذيب (كنى فلان عن الكلمة المستفحشة يكني إذا تكلم بغيرها مما يستدل به عليها))[٢] ويعرف ابن منظور الكناية بأنها (أن تتكلم بشيء وتريد غيره. وكنى عن الأمر بغيره يكني كناية: يعني إذا تكلم بغيره مما يستدل عليه)[٣]، وبهذا فإن الكناية في اللغة ترك التصريح واللجوء الى الإشارة في القول.

أما في الاصطلاح فالكناية ((أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكر باللفظ الموضوع له بل يأتي بتاليه، فيومئ به إليه ويجعله دليلا عليه))[٤] ويعرفها أخرون بأنها ((لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادته معه))[٥]

وقد اصبح هذا المفهوم هو المفهوم الاصطلاحي المتداول للكناية، والكناية تقترب من الحقيقة لأنها ذكر ما يرادف الحقيقة والإشارة إليها بالتلويح لا التصريح، عكس الاستعارة والتشبيه اللذان يعتمدان على الإيهام والتقريب بين المتباعدات.

ولأسلوب الكناية أثره الخاص الذي يميزه عن غيره من أساليب البيان، وتمكن بلاغة الكناية في كونها تعطيك الحقيقة مصحوبة بدليلها، وتذكر القضية . وفي طياتها برهانها الشاهد عليها، فهي تمتاز بالاقناع والامتناع، متى ما جاء المعنى مصحوباً

---

(١) – كتاب العين : مادة (كنى).

(٢) – مقاييس اللغة، مادة (كنو).

(٣) – لسان العرب ، مادة (كني).

(٤) – الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز:٣/ ١٨٧.

(٥) – الأطول في شرح تلخيص مفتاح العلوم:٣/ ٣٤٢.

بدليله كان أشد أثراً وتأثيراً، وأقوى امتاعاً، واوقع في النفس، واعلق بالفؤاد، وأكد للمعنى، وأشد تأثيراً في النفوس"[١] .

ووردت الكناية في القران الكريم مصاحبة للذاكرة في قوله تعالى : ﴿﴿**وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ**﴾﴾ (ص:٤٥)، إن الله ((مدحهم بتوصيفهم إذا كانا يد إنسان وبصر إنسان استعملا فيما خلقا له وخدما الإنسان في إنسانيته (...) فيكون كونهم اولي الأيدي والابصار كناية عن قوتهم في الطاعة وإيصال الخير وتبصرهم في إصابة الحق في الاعتقاد والعمل))[٢] وقيل أُولِي الْأَيْدِي يقول: أولي القوة و العبادة، و الأبصار يقول: الفقه في الدين والقوة في طاعة الله، و الأبصار: البصر بعقولهم في دينهم. [٣] ويذهب بعضهم إلى أن كلمة الاية المباركة يقصد منها ((الكناية عن القوّة في سبيل العمل الصالح الذي يتحملون مسؤولية الدعوة إليه، و تحويله إلى واقع حيّ في حياة الناس على جميع المستويات، و في ما توحي به كلمة الأبصار من الكناية عن وضوح الرؤية للأشياء في وعيهم المنفتح على الله و الحياة، مما يجعل حركتهم حركة منطلقة من سعة الأفق، و عمق المعرفة، و صفاء الروح، و قد نستوحي من ذلك كيف يجب للقياديين على جميع المستويات، لا سيّما الذين يتحركون في الموقع القيادي للدعوة في سبيل الله، أن يكونوا من أولي القوة الذين يملكون الموقف القويّ الذي يستطيع أن يثبت في مواقع الاهتزاز و التحدي، كما يملكون القوّة التي تمكنهم من التحرك بصلابة في تثبيت الخطة و توجيهها في الخطوط المستقيمة، كما يجب أن يكونوا من أولي النظرة الثاقبة العميقة التي تنفذ إلى عمق الأشياء لتكتشف حقائقها بصفاء و وضوح، لأن ذلك هو الذي يمكنهم من القيام بدورهم الرسالي القيادي بكفاءة و

---

(١) – الكتابة والتعريض : ٤٤

(٢) – الميزان في تفسير القرآن:١٧/ ٢١١.

(٣) – ينظر: جامع البيان فى تفسير القرآن:٢٣/ ١٠٩

قوّة)). [١] فالأيد اللمسية، والأبصار البصرية هما ضمن مدارات الذاكرة التي وسم بها الأنبياء على سبيل الكناية متوشحا بالقوة العقلية التي اسهمت في تتبعهم السبيل نحو تحقيق المراد من بعثهم وهو اعلاء اسم الله ونشر دينه بين اظهر القوم ممن اخذتهم العزة بالكفر فخالفوا سبيل الرشاد، والأبصار التي تلاحقت مع الايد لتدل على البصيرة والعقل والتحقق من صحة الأمر، والسير بمنهج قويم لأعلاء اسم الرب في ربوع المعمورة .

ومنها أيضاً قوله تعالى ﴿﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾﴾ (الممتحنة: ١٢) وذكر المفسرون إنه جل جلاله ((كنى بالبهتان المفترى بين يديها ورجليها عن الولد الذي تلصقه بزوجها كذبا لأن بطنها الذي تحمله فيه بين اليدين وفرجها الذي تلد به بين الرجلين)) [٢] وقيل:((هو كناية عن كلّ ما لا ينبغي تعاطيه ممّا يفعل باليد أو يسعى إليه بالرّجل و قوله تعالى ﴿ سُبْحانَكَ هذا بُهْتانٌ عَظِيمٌ﴾ (سورة النور ٢٢) أي كذب فظيع متبالغ في القبح، يحيّر من يسمعه و يدهشه.)) [٣] فالذاكرة اللمسية الالصاق الذي جاءت على سبيل الكناية قد أسهمت برسم صورة حسية للمتلقي مع الإشارة إلى مواضع البهتان والسبيل إلى الاتيان به وسبب تحققه، وفق منظور اجتماعي هو في الأصل من المسكوت عنه ولكن القرآن الكريم نبه اليه ملمحا لدورة الكبير في رسم المشهد الاجتماعي الذي كان سائدا في الجاهلية وهو منهج جمع بين مكارم الاخلاق في بعض الأحيان وفي الوقت نفسه ونلاحظ انتشار الرذائل والموبقات .

---

(١)- من وحى القرآن:١٩/ ٢٧٤

(٢) – مدارك التنزيل وحقائق التأويل:٣/٤٧١.

(٣)- عمدة الحفاظ فى تفسير اشرف الالفاظ: ١/ ٢٦٩

وفي قوله تعالى: ﴿﴿ **وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ** ﴾﴾ (القمر:١٣) فهو كناية يراد بها موصوف ((وهو "السفينة" لأن مجموع الأمرين، الألواح والدسر، مشدودا أحدهما إلى الآخر: وصف خاص بالسفينة))[١]. (وَ حَمَلْناهُ) أي حملنا نوحا إذ التقى الماء على أمر قد قدر، على سفينة ذات ألواح و دسر. و الدسر: جمع دسار؛ و قد يقال في واحدها: دسير؛ و الدسار: المسمار الذي تشد به السفينة؛ يقال منه: دسرت السفينة إذا شددتها بمسامير [٢] فيلج بعضها ببعض بمسمار من حديد أو خشب أو من خيوط الليف على وجه الضخامة و القوة و الدفع والمتانة، و لعله عبر عن السفينة بما شرحها تنبيها على قدرته على ما يريد من فتق الرتق ورتق الفتق بحيث يصير ذلك المصنوع، و لما كان ذلك خارقا للعادة فكان يمكن أن يكون في السفينة خارق آخر بإسكانها على ظهر الماء من غير حركة، بين أن الأمر ليس كذلك فقال مظهرا خارقا آخر في جريها: تَجْرِي أي السفينة بِأَعْيُنِنا أي محفوظة أن تدخل بحر الظلمات، أو يأتي عليها غير ذلك من الآفات، بحفظنا على ما لنا من العظمة حفظ من ينظر الشيء كثرة و لا يغيب عنه أصلا، جَزاءً لعبدنا نوح عليه السلام، وَ لَقَدْ تَرَكْناها أي هذه الفعلة العظيمة من جري السفينة على هذا الوجه و إبقاء نوعها دالة على ما لنا من العظمة، و قيل: تلك السفينة بعينها بقيت على الجودي حتى أدرك بقايا ما هذه الأمة آيَةً أي علامة عظيمة على ما لنا من العلم المحيط و القدرة التامة فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ أي مجتهد في التذكير بسبب هذا الأمر لما يحق على الخلق من شكر الخالق بما هدت إليه رسله كما قالوه. [٣] فالذاكرة التي تصور حركية السفينة وكانها توضع مسيرها فوق عباب الماء الهادر والأمواج التي تتلاطم بجوانبها والجو العاصف والهول الشديد الذي أصاب القوم رسم بريشة فنان

---

(١) – المنهاج الواضح للبلاغة:١٥٨/٥.

(٢) – ينظر –جامع البيان في تفسير القرآن:٢٧/ ٥٥.

(٣) – ينظر– نظم الدرر في تناسب الآيات و السور:٧/ ٣٥٠

وصور بذاكرة العين الباصرة للموقف الذي غير من وجه البسيطة وأخفى جميع معالمها فلم يتبقى منها سوى السفينة طافية فوق لجاج الماء، وهذه العلامة ماتزال شاخصة يراها القوم حتى وقت قريب وهي من عجائب المصنوع البشري في خدمة الرب وفي خدمة النوع من الزوال انشئت رحمة ورعاها الله لتكون في رسم القوم آية قد ابصرت للاشارة إلى القدرة الربانية التي أزالت مقادير القوم في أحد الأيام المزلزلة التي ضربت وجه الأرض وأعادت رسومها من جديد وكونت فوقها خلقا جديدا .

ومنها أيضاً ماورد في قوله تعالى ﴿﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا**﴾﴾ (الاحزاب:٤٩) ذكر القرطبي: ((هو من آداب القرآن، الكناية عنه بلفظ: الملامسة والمماسة والقربان والتغشي والإتيان))[١]، وهو رأي ابن عاشور إذ ذكر ((المس والمسيس: كناية عن الوطء، كما سمي ملامسة في قوله: أو لامستم النساء))[٢] فالنص يتوجه للذاكرة اللمسية متوافقا مع عنصر الكناية مراعاة للشعور الجمعي ومستعملا الذاكرة في رسم احد مقاليد الحياة ومنار ديمومتها ولكن بتهذيب وترتيب وعدم الجنوح للقباحة في الطرح ولا الرذالة في الطرح، فأصبح الكلام مقبولا محببا لا يتفاداه أحد عندما يقرأه او يتكلم به محققا الغاية المرجوة .

ومنها أيضاً في قوله تعالى ﴿﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ**﴾﴾ (المائدة ٦٤) وذكر السمين الحلبي في تفسيرها قوله: (واليد تعبر عن القدرة والسعة في الإنفاق. فمن الأول قوله تعالى: {وأولي الأيدي} [ص: ٤٥] أي القدرة والقوة. ومن الثاني قوله تعالى: {وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم} [المائدة: ٦٤] ولذلك عقبه بقوله: {بل يداه مبسوطتان} [المائدة:

---

(١) – تفسير القرطبي:١٤/٢٠٣.

(٢)– تفسير التحرير والتنوير:٢٢/٦٠.

٦٤]. ((وهذا كناية عن بسط اليد في النفقة وقبضها. واليد: النعمة أيضاً. ومنه: لي على فلان يد، إلا أنه خولف بينهما في الجمع فقالوا في الجارحة أيد وفي الجميع أياد ويدي))[١] أي((نعمتاه الظاهرة و الباطنة، أو نعمته في باب الدين و نعمته في باب الدنيا مبسوطتان على الخلق ينفق كيف يشاء يتوجه إلى نعمته في الدنيا أي: يرزق منها من يشاء ما يشاء)). [٢] أن التثنية للمبالغة في صفة النعمة مثل قولهم: لبيك و سعديك، و كما يقول القائل: بسط يديه يعطي يمنة و يسرة و لا يريدون الجارحة و إنما يريدون كثرة العطيا [٣] أي بل هو صاحب الجود الكامل، و العطاء الشامل، عبر عن ذلك ببسط اليدين ؛لأن الجواد السخي إذا أراد أن يبالغ في العطاء جهد استطاعته يعطي بكلتا يديه. وصفوه بغاية البخل و الامساك، فأبطل قولهم و أثبت لنفسه غاية الجود وسعة العطاء. و لا غرو فكل ما يتقلب فيه العالم كله من الخير و النعم، هو سجل من ذلك الجود و الكرم، و النكتة في قوله «كَيْفَ يَشاءُ» بيان أن تقتير الرزق على بعض العباد، الجاري على وفق الحكمة و سنن الله تعالى في الاجتماع، لا ينافي سعة الجود، و سريانه في كل الوجود؛ فان له- سبحانه- الارادة و المشيئة في تفضيل بعض الناس على بعض في الرزق، بحسب السنن التي أقام بها نظام الخلق [٤]

فالرسم القرآني للذاكرة يتحقق ضمن مدلولات الذاكرة اللمسية فما يمنح من عطايا يمنح عن طريق اليد وهو السبيل المتبع في مثل هكذا أمر ولكنه تبارك وتعالى منفردا في وجوده لا حيز له بل هو مطلق الوجود والمكان فكنى باليدين لبيان انبساط جوده على

---

(١) – عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ:٣٥٢/٤.

(٢)– تصحيح الوجوه و النظائر:٥٠٨

(٣)ينظر– التبيان في تفسير القرآن:٥/ ٥٧٩

(٤)ينظر– تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار:٦/ ٤٥٢

عباده ومنحهم الهبات والعطايا غير المقيدة وغير المقترة بل هي مبذولة ومتلاحقة ومنتشرة، تكاد تصرخ بمن يحيط بها للدلالة عليها .

في قوله تعالى: ﴿﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾﴾ (الكهف:١١) وفيها كناية ((فالضرب على الآذان كناية عن الإنامة؛ لأن النوم الثقيل يستلزم عدم السمع، لأن السمع السليم لا يحجبه إلا النوم، بخلاف البصر الصحيح فقد يحجب بتغميض الأجفان .وهذه الكناية من خصائص القرآن لم تكن معروفة قبل هذه الآية وهي من الإعجاز))(١). «فَضَرَبْنا عَلَى آذانِهِمْ» يعنى انمناهم، يقال ضرب على أذن فلان إذا نام ؛لانّ النائم ربّما فتح عينيه أو هذى لسانه او تحرّك شيء من اطرافه و من النّاس و غيرهم ما ينام فاتحا عينيه و ليس شيء من ذوات الرّوح يسمع و هو نائم فلذلك قيل للنّوم ضرب على الاذن. و قيل «فَضَرَبْنا عَلَى آذانِهِمْ» اى سلبناهم حواسهم لانّ النائم مسلوب الحواس و خصّ السّمع بالذكر من بين الحواس ؛لانّ من سلب سمعه سلب عقله و النّائم مسلوب العقل بخلاف سائر الحواس (٢) فالنص في مضمونه تذكر لحالة هؤلاء القوم وما جرى لهم من الضرب على الآذان وانامتهم في الكهف وكأنهم رقود فسلبوا الحواس وتتداخل في مرابعهم الزمن فاصبحوا في انفصال تام عن محيطهن ولكنه محيط سائر يجاري الزمن ويتغير كل ما حولهم بخلافهم وكأنهم أصبحوا في كبسولة زمنية توقفت وانفصلت عن محيطها وكل هذا برز عن طريق الكناية وفعل الضرب الذي خرج عن مضمونه الاصطلاحي وتاه في مدارات المجاز فحقق للنص مؤثرات أسهمت باتساع الأفق الدلالي وشرح المراد بجملة واحده وفرت بنميازها مقدار نومهم في الكهف وكيف ناموا .

---

(١) – تفسير التحرير والتنوير:١٥/ ٢٦٨.

(٢)ينظر– كشف الاسرار و عدة الابرار:٥/٦٤٦

تكمل الكناية سبل الأقناع فتكون مع الذاكرة لجة مكينة تتجاوز معنى النص إلى ما هو أبعد منه فترسم مشاهد حية وتحيلها إلى مرتبة اجتماعية متفردة تتوافق فيها مع ملامح الذاكرة بمختلف أنواعها بإشارات سيميائية خلابة تصهر النص في بؤرة حية فريدة .

المبحث الرابع: المجاز .

تتغنى لغة العرب بالمجاز وفي أنها تنعم بكلمات يتغير مدلولها الوضعي بحسب موضعها من السياق الذي ترد فيه فهي لغة المجاز بامتياز .

المجاز لغة : قال الخليل (جزتُ الطريق جواراً ومجازاً وجووراً. والمجاز المصدر والموضع، والمجازة أيضاً. وجاوزته جوازاً في معنى جزته)[١] فهو مصدر من جاز الشيء يجوزه إذا تعداه، ويوصف بأنه مجاز على معنى أنهم جازوا به من موضعه الأصلي أو جاز هو مكانه الذي وضع فيه أولا[٢]، جاء في اللسان (جزت الطريق، وجاز الموضع جوازاً، وجازه سار فيه وسلكه).[٣]

وفي **الاصطلاح** ((استخدام الكلمة في غير ما وضعت له لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي))[٤] أو هو ((كل كلمة أريد بها غير ما وضعت له في وضع واضع لملاحظة بين الثاني والأول فهو مجاز))[٥] فيمكن القول إن المجاز هو الحقيقة المغلفة بالإشارة البلاغية فهو تجمع المعاني المتعددة للفظ واحد أحدها يحمل حقيقة مباشرة تحتاج إلى العقل لأدراكها ومعان أخرى ذات علاقة تتوارد على الذهن والمجاز قسمان عقلي ولغوي وتولع العرب قديمًا بالمجاز و استعملوه كثيرًا ؛ لأنهم يعدونه من مفاخر حديثهم ؛ ورأس البلاغة ؛ ودليل الفصاحة عندهم ؛ لأن المجاز قد ميز لغتهم عن اللغات الأخرى[٦]

---

(١) –معجم العين : مادة (جوز)

(٢) –ينظر :أسرار البلاغة: ٣٥٦ .

(٣) –ابن منظور، لسان العرب، مادة (جوز) : ٥/ ٣٢٦

(٤) – سورة البقرة دراسة أسلوبية بلاغية، : ٢٤٧

(٥) – أسرار البلاغة في علم البيان : ٢٤٩.

(٦) – ينظر : العمدة في محاسن الشعر و آدابه و نقده:٢/١٦٠ .

وكان سر استعمال العرب للمجاز هو ميلهم إلى الاتساع في الكلام وتكثير معاني الألفاظ ليكثر الالتذاذ بها ؛ لأن المجاز كان عندهم منهلاً مورداً عذب الارتشاف، وسبيلاً مسلوكاً واضح المعالم ..... ولذلك كثر في كلامهم وصار أكثر استعمالا من الحقائق[١]، وتعددت وظائف المجاز فهو يعطي الوضوح والمتعة ثم يضفى الطابع الغريب[٢] . وكذلك ينتقل بالصيغة من وصفها الاول ودلالتها الأولى إلى دلالة أخرى[٣] ومن المواضع التي يرد فيها المجاز متوافقا مع الذاكرة قوله تعالى ﴿﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾﴾ (القيامة : ٢٢) والمجاز في هذه الآية عبر بالوجه عن الجملة فهو من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل؛ لأن الله تبارك وتعالى ((لما وبخهم بحب العاجلة وترك الاهتمام بالآخرة، تخلص إلى شيء من أحوال الآخرة فقال: وجوه يومئذ ناضرة، وعبر بالوجه عن الجملة))[٤]فالذاكرة هنا ذاكرة بصرية قصد من الوجوه العين وما تراه أي ناعمة بهجة حسنة و قيل مضيئة بيضاء يعلوها النور؛ لأنه تعالى جعل الله سبحانه وجوه المؤمنين المستحقين للثواب بهذه الصفة علامة للخلق و الملائكة على أنهم الفائزون . أما قوله «إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ» معناه ((نظر العين إلى ثواب ربها ناظرة أي هي ناظرة إلى نعيم الجنة حالا بعد حال فيزداد بذلك سرورها))[٥] لما تحصلت عليه من أجر وثواب ولما منحه الله تبارك وتعالى لها من نعم، فضلا عن ذلك فأن النص فيه ملمحا متداولا بين الناس فعند الضيق تراهم يرفعون عيونهم إلى السماء طلبا للتلطف والرحمة ورفع الشدة وانتظار الفرج، والأمر نفسه يحدث وكأنه مخزون في ذاكرة الفرد

---

(١)- ينظر : أساليب البيان في القرآن الكريم : ٣٨٩ .

(٢)- ينظر : الخطابة : ١٩٨.

(٣) – الاتجاه العقلي في التفسير : ١٠٤ .

(٤) –البحر المحيط في التفسير : ١٠ من ٣٥٠

(٥) –تفسير التحرير والتنوير:٢/ ٢.

ولكن النظرة مختلفة في هذا الموضع ؛لأنهم بين يدي الرب وفي سمائهِ ينتظرون الثواب أو العقاب على ماجنته جوارحهم جميعها .

ومنها أيضاً ما ترافق فيه المجاز مع الذاكرة ما ورد في قوله تعالى ﴿﴿**وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآَخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ**﴾﴾ (يوسف (٣٦) المجاز المرسل في قوله تعالى إني أراني أعصر خمرا أي عنبا والعلاقة ما يؤول إليه، فقد سمى العنب خمرا ؛ لأنه يؤول إلى الخمر لكونه المقصود من العصر. وقيل الخمر هو العنب حقيقة، فالنص في مدار التذكر فما ذكر ليوسف (عليه السلام) هو ذاكرة الحلم وما ذكر للمتلقي في القرآن هو ذاكرة الحادثة التي كانت هي الأصل في خلاص يوسف من سجنه و التعبير بالمضارع لاستحضار الصورة. و المعنى: إني أراني أعصر عنبا، فسمّاه باسم ما يؤول إليه لأنه المقصود من العصر ثم وصف الخبز هذا بقوله: تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ و هذا الرائي لهذه الرؤيا هو الخباز [١] و جملة قالَ أَحَدُهُما ابتداء محاورة، كما دل عليه فعل القول. و كان تعبير الرؤيا من فنون علمائهم فلذلك أيّد الله به يوسف– عليه السلام– بينهم.و هذان الفتيان توسّما من يوسف– عليه السلام– كمال العقل و الفهم فظنّا أنه يحسن تعبير الرؤيا و لم يكونا علما منه ذلك من قبل، و قد صادفا الصواب، و لذلك قالا: إِنَّا نَراكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ، أي المحسنين التعبير، أو المحسنين الفهم.و الإحسان: الإتقان، يقال: هو لا يحسن القراءة، أي لا يتقنها. و من عادة المساجين حكاية المرائي التي يرونها، لفقدانهم الأخبار التي هي وسائل المحادثة و المحاورة؛ لأنهم يتفاءلون بما عسى أن يبشرهم بالخلاص في المستقبل. [٢] فمدارات الذاكرة تتلاحق في النص الاولى ذاكرة المعنيان بالأمر الساقي والخباز وما شاهداه في حلمهما

---

(١)ينظر– فتح القدير:٣/ ٣٠

(٢)ينظر– التحرير و التنوير: ١٢/ ٦٠ .

وهي من الماضي ، وذاكرتهما وما شاهداه من وسم الاصلاح والتميز في وجه يوسف (عليه السلام) جعلهما يتوقعان أنه من أهل الورع والتقوى الذان يمنحاه القدرة على تأويل ما شاهداه، والثالثة ما نقل منها في القرآن بمشهدها السنمائي الرائع من تصوير للعصر ورؤيته وحمل الخبز على الراس دون ذكره، ومن ثم التأويل الذ ي رافق الامر فكلها ذكريات رسمت بمنظور قرآني أخاذ اسهم في نماء الدلالة واتساع افقها، ديمومة التحولات فيها .

وفي قوله تعالى ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ (البقرة (١٧٤) تظهر الذاكرة في مدار الحديث عما فعله اليهود وعلماؤهم من محاولة طمس حقيقة ذكر محمد (صلى الله عليه وآل وسلم) في بطون كتبهم وما استدلت عليه من العلامات المتحققة في زمن ولادته وصفته واسمه المبارك [١] ويذهب بعضهم إلى أن ذكر البطون دلالة وتأكيد ا على حقيقة الأكل، إذ قد يستعمل مجازا في مثل أكل فلان أرضي ونحوه، وفي ذكر البطون أيضاً تنبيه على جشعهم وأنهم باعوا آخرتهم بحظهم من المطعم الذي لا خطر له. ومعنى إلا النار أي إنه حرام يعذبهم الله عليه بالنار، فسمي ما أكلوه من الرشاء ناراً، لأنه يؤديهم إلى النار، هكذا قال أكثر المفسرين. وقيل: أي إنه يعاقبهم على كتمائهم بأكل النار في جهنم حقيقة. [٢] لانهم لا يأكلون يوم القيامة ((الا عين النار عقوبة لهم على أكلهم الرشوة في الدنيا و أما فى الدنيا فبأكل سببها فان أكلهم ما أخذوه من اتباعهم سبب مؤد إلى ان يعاقبوا بالنار فاطلاق النار عليه من قبيل اطلاق اسم المسبب على السبب و معنى في بطونهم ملئ بطونهم يقال أكل فى بطنه و أكل في بعض بطنه يعنى أن المقصود من ذكر بطونهم

---

(١)– ينظر_الواضح فى تفسير القرآن الكريم:١/ ٥٧

(٢) ينظر–الجامع لأحكام القرآن:٣/ ٢٣٥ .

متعلقا بقوله يأكلون إنما هو بيان محل الأكل و مقر المأكول فلما لم يقل يأكلون في بعض بطونهم علم ان محل الأكل هو تمام بطونهم فلزم امتلاؤها ففيه مبالغة كأنهم ما كانوا متكئين على البطون عند الاكل فملأوا بطونهم)) [١] فالاية المباركة في مداراتها كلها تتضمن دلالة الأكل فتكون الذاكرة اللمسية هنا هي مدار الأمر ومنارة التوقع لما هو عائد في النص فالأكل هو اكل الربا ومس المال الحرام أو كان اخفاء صفة النبي(صلى الله عليه وآل وسلم) عبر ازالة اسمه بأناملهم أو منعه عن المحيط بتغيير الصفة الموجودة له في كتبهم، فتتحول هذه الصفات من وجهة الحقيقة إلى عقوبة متحققة عن طريق المجاز فالأكل سيكون في موضع الاستقرار وهو البطن فكل ما آل اليه الامر بالصفتين كان اساسه حفظ المكاسب التي تحصلوا عليها في وقتهم الرشى أو نكران وجود النبي الأكرم محمد (صلى الله عليه وآل وسلم) والتي عن طريقها سوف يتحصلون على التمتع بالمكانة التي رسمت لهم في إنهم من أصحاب العقول ومن المتبحرين في الدين ومن حملة الكتاب ومفسريه وكل ذلك سيمدهم بما لذ وطاب من محيطهم الاجتماعي .

ومنها أيضاً ما ورد في قوله تعالى ﴿**وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ (٤٢) وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ**﴾ تتوارد الذاكرتان السمعية والبصرية في النص المبارك متوافقة مع الاستفهام على سبيل الإنكار والمجاز و هو إنكار تعجيب من أن يكون هو الذى يقدر على هدايتهم و هم قد تمرنوا فى الكفر و استغرقوا فى الضلال حتى صار ما بهم من العشى عمى مقرونا بالصمم ((وَ مَنْ كانَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ عطف على العمى باعتبار تغاير الوصفين و مدار الإنكار هو التمكن و الاستقرار فى الضلال المفرط بحيث لا

---

(١)- تفسير روح البيان:١/ ٢٧٩

ارعواء له منه لا توهم القصور من قبل الهادى ففيه رمز إلى أنه لا يقدر على ذلك إلا الله تعالى وحده بالقسر و الإلجاء)) [١] فقوله «أَ فَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَ» خطاب للنبيo بأنه لا يقدر على إسماع الصم الذين لا يسمعون، و بهم صمم، و هم الذين ولدوا صماً، و الأصم ((المفسد السمع بما يمنع من ادراك الصوت، و قد صم يصم صمماً. و السمع إدراك الشيء بما به يكون مسموعاً.و تسمى الأذن السليمة سمعاً، لأنه يسمع بها. و قوله «وَ لَوْ كانُوا لا يَعْقِلُونَ» تشبيه من الله تعالى لهؤلاء الكفار في ترك إصغائهم إلى النبي (صلى الله عليه وآل وسلم) و استماع كلامه طلباً للفائدة بالذين لا يسمعون أصلا، و إن النبي (صلى الله عليه وآل وسلم) لا يقدر على أسماعهم على وجه ينتفعون به إذا لم يستمعوا بنفوسهم، للفكر فيه، كما لا يقدر على إسماع الصم)) [٢] لأن الاستماع طلب السمع، فهم كانوا يطلبون السمع للرد لا للفهم، فلذلك لزمهم الذم، فهم إذا سمعوه على هذا الوجه كأنهم صم لم يسمعوه حيث لم ينتفعوا به. فالقصد منها لا تُسْمِعُ الدُّعاءَ كما لا تقدر أن تسمع الصم الذين قد سلبوا السمع الدعاء، إذا هم ولوا عنك مدبرين، كذلك لا تقدر أن توفق هؤلاء الذين قد سلبهم الله فهم آيات كتابه، لسماع ذلك و فهمه [٣] فالذاكرتان السمعية والبصرية بتواردهما الممتع في النص كانتا حجر الراحة في اثبات حقيقة هؤلاء القوم فمغالاتهم في الكفر والغي جعلهم في مدار لا رجعة فيه ؛ لأن سبيلهم الأوحد هو الكفر بما شرعه الله واوجبه على عباده والاشارة لذلك بينة واضحة فالترميز كان منتهلا من أهم حاستين في الجسم تحققان المبتغى الأولى السمع والأخرى النظر وقدمت الأولى ؛ لأنها الأقوى فيما يخص الدعوة للدين لأن فاقدها لا يتمكن من فهم ما يراد منه أما الأخرى فبإمكان فاقدها أن يتعلم ويتفهم الدعوة لله ولدينه

---

(١)– ارشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (تفسير ابو السعود:٨/ ٤٨ .

(٢) – التبيان في تفسير القرآن:٥/ ٣٨١ .

(٣)ينظر– جامع البيان فى تفسير القرآن:٢١/ ٣٦ .

الحنيف ولكن هؤلاء القوم قد انثالوا عن سبيل الحق فنكل الله بهم وجعلهم في طغيانهم يعمهون .

ومنها أيضاً ما توارد من ذاكرة في قوله تعالى ﴿﴿**وَما مَنَعَنا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآياتِ إِلاَّ أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَ آتَيْنا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِها وَ ما نُرْسِلُ بِالْآياتِ إِلاَّ تَخْوِيفاً**﴾﴾ (الإسراء (٥٩) فهو مجاز عقلي في قوله تعالى: «الناقة مبصرة». (لما كانت الناقة سببا في إبصار الحق والهدى، نسب إليها الإبصار، ففيه مجاز عقلي، علاقته السببية[١]. أى أنها مبينة هادية ليبصروا بها الحق، و فى وصفها بأنها مبصرة إشارة إلى أنها كانت آية واضحة، تعيش فى النّاس، و تتمشّى بينهم، يمرّون بها مصبحين و ممسين و هذا هو بعض السرّ فى اختصاص ناقة صالح بالذكر هنا، إنها كانت تعيش مع الناس، بين سمعهم و بصرهم .. [٢] ولكنهم بعد أن أبصروها تجنبوها، ، على الرغم من أنها نزلت فيهم وكانت حجة عليهم؛ لأنهم هم الذين طلبوها. فَظَلَمُوا بِها، أى بسببها، أو تضمّن الظلم معنى الكفر، فيكون المعنى فكفروا بها، و لم يصدقوا، و لم يذعنوا لما تهديهم إليه [٣] فكفروا بها، و منعوها شربها و قتلوها، فأبادهم الله تعالى، و انتقم منهم، و أخذهم أخذ عزيز مقتدر. [٤] فالابصار هنا هو الهداية والآية تتحكم بالبصيرة التي كان المفروض أن تتواجد ضمن مدى القوم كونهم قد طلبوا المستحيل واتاهم وظهر بينهم يرونه متى شاؤوا ويتبركون به إذا أرادوا وينتفعون منها قدر ما رغبوا، ولم تذهب لساعتها بل أنها متوطنة في أرضهم، لكنهم لعناد قد جبل فيهم لم يكلفوا

---

(١)ينظر – الجدول في اعراب القرآن:٨/ ٧٤ .

(٢)– ينظر_التفسير القرآني للقرآن:٨/ ٥٠٧

(٣)ينظر – زهرة التفاسير:٨/٤٤.

(٤)ينظر – تفسير حدائق الروح و الريحان فى روابي علوم القرآن:١٦/ ١٥٣ .

نفوسهم الانتفاع من كل ما تقدم فعقروها وذهبت ريحهم فابادهم الله وجعلهم للناس آية)).

ومنها أيضاً قوله تعالى ﴿﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾﴾ (سورة الحج :١٠) تتوارد الذاكرة اللمسية في النص المبارك على سبيل المجاز كون اليد ليست هي الوحيدة التي تنسب إليها المعاصي والخطايا فكل الحواس تشترك فيها وكذلك الروح ولكن يعبر باليد ((أي يقال له في الآخرة إذا دخل النار : ذلك العذاب بما قدمت يداك من المعاصي والكفر))[١] و نسب التقديم لليد مجازا، و المعنى بما قدّموه، إذ كانت اليد أكثر الجوارح تصرفا في الخير و الشر [٢] وحتى لو كانت الجناية التي جناها فاستحق عليها العقوبة كانت باللسان أو بالفرج أو بغير ذلك من أعضاء جسده سوى اليد إنما قيل ذلك بإضافته إلى اليد؛ لأَن عظم جنايات الناس بأيديهم، فجرى الكلام باستعمال إضافة الجنايات التي يجنيها الناس إلى أيديهم حتى أضيف كل ما عوقب عليه الإنسان مما جناه بسائر أعضاء جسده إلى أنها عقوبة على ما جنته يده، [٣] وهنا يكون الخطاب الحاسم الذي يواجه به عند ما يستنكر أو يحتج أو يتساءل، فقد قدّمت يداك– و أنت في الدنيا– كل هذا النتاج الضخم من الأعمال الشريرة القائمة على الكفر و الضلال، دون ركيزة من علم، و دون قاعدة من إيمان، فهل هناك أيّ ظلم في ما تلقاه الآن من عذاب؟! فعذاباتك نتيجة طبيعية لأعمالك، و هذا النموذج الذي تقدمه الآية يمكن معاينته في الواقع في صورة الذين ينطلقون مع انتماءات الكفر و الباطل و يتحملون مسئولية الدعوة إلى الأفكار الضالة التي تمثلها تلك الانتماءات، في مجال العقيدة و الشريعة و المنهج و الحياة، فيحفظون شيئا مما يلقى إليهم، و يختزنون

---

(١) – تفسير القرطبي:١٢/ ١٦ .

(٢)ينظر– البحر المحيط في التفسير:١/ ٤٧٦ .

(٣)ينظر– جامع البيان في تفسير القرآن:١/ ٣٣٨ .

ملاحظات سريعة، و يشكلون أفكارا سطحية ينطلقون بها إلى الناس، مستغلين بعض الأوضاع القلقة، و الزخارف الزاهية، و المواقف المثيرة، ليضلوهم بالشبهة و الوهم و الخيال، و ليحاصروهم بالمشاكل المتحركة في كل موقع من حياتهم التي توحي لهم بألف موقف ضلال. [١] فالاية المباركة في موضع التذكر لما هو حاصل مستقبلا فما سوف تشهده اليد والجوارح جميعا هو الأساس في الحكم على العبد وكان الايكال لكل الامور والخطايا لليد لأن الخطاب متوسم في لغة العربي وهو معروف عنده فكل ما تصبوه الجوارح وتفعله ينسبه ليده فكانت النسبة للجزء مع ارادة الكل، في اشارة واضحة أن الاعمال ببقية الجوارح تكون في النية وقد لا تحدث ولكن عند تناولها باليد اصبح الامر مفروغا منه وهو واقع لا محالة لذا كانت هي الوسيلة الاخيرة للفعل وتحصيل الطلب فأصبحت هي مستودع العذاب والمغفرة في الوقت ذاته.

تمازجت العناصر البيانية مع الذاكرة فحققت ملامح جمالية أخاذة كما أسهمت في رفد أفق التوقع واتساعه كما أسهمت في أنماء مشاهد حية وكأنها صورة سيميائية خلابة تخلب الالباب وتجلي الغي من القلوب فضلاً عن دورها في اتساع الأفق الدلالي للنص.

---

(١)ينظر– من وحى القرآن، :١٦/ ٢٥

الخاتمة و نتائج البحث

الخاتمة :

كشفت دراستنا للرسالة الذاكرة في القرآن الكريم دراسة تحليلية، جملة من النتائج كان أهمها:

بعد أن من الله بإنجاز البحث توصلت دراستنا للذاكرة في القرآن الكريم دراسة تحليلية إلى مجموعة من النتائج وهي :

ـ بما أن الذاكرة ملازمة للإنسان فهي مسؤولة عن حفظ المعلومات والتجارب والخبرات والأحداث الماضية واسترجاعها عند الحاجة إليها، ولها تأثير كبير جداً على حياة الأنسان يتعدى كونه مجرد مستودع لذكريات الماضي، بل تلعب دوراً رئسياً في حاضرالإنسان حتى يصل تأثيرها إلى مستقبله، فمن دون نعمة الذاكرة يفقد الإنسان هويته وتجاربه في الحياة، ولا يتمكن من التطور ومواصلة التقدم، ونظراً لهذه المكانة التي احتلتها الذاكرة في حياة الإنسان فمن الطبيعي أن تترك الذاكرة بصمتها الواضحة في القرآن الكريم.

ـ حققت الذاكرة البصرية كثيراً من المدلولات الحية في النصوص التي وردت فيها فهي ترسم لنا لوحة جمالية، وكائنا أمام تجسيد مرحباً للأحداث القرآنية، والتي تجعل القارئ متسعا ينشا مع الأحداث بمحتلف جوانبها

ـ الذاكرة اللمسيةأذابت حدود الأزمان فكل ما يشغل الناس في مجالسهم هو حياتهم وواقعهم أي كان نوعه لذا كان الأمر سابقاً ومستقبلاً فيه إشارة إلى ترك هذا الفعل والإستماع لما يقال من محكم التنزيل تحقيقاً لصفة التأدب عند القول ؛لأنه ما يقال هو دستور الناس وكلام الله المنزل لا يأتيه الباطل فهو أفضل من أي كلام دائر في مدارات حديث العباد في أي مجلس من مجالسهم ؛لأن شارح ومشرع لما هو في صدر مناقشته في مجالسهم جميعها وهو خير الكلام وأحسنه .

ـ ترسم ملامح الحاسة الذوقية ضمن مدارات الحقيقة والمجاز فهي تتحرك بينهما محققة للمتلقي أفانيين الاقناع فمرة نراها في خصم ووصف ما سيتحصل عليه العبد في جنات خلد الرب وأخرى ماسوف ينهال على روحه وجسده من عذاب في مدارك جهنم

ـ حقق الاستفهام في المواضع التي وردت فيها الذاكرة بؤرة دلالية متعددة فهو في حالة الإجابة عن سؤال متعدد التاويلات قد اسهم في توسع افق الدلالة كما اسهم في رسم مدارات القصص التي ورد فيها، فكل الاجابات هي اجابات متضمنة فيها من الاقوال الكثير ومن العبر اكثر، فتحت امام لوحة ترسم بدقة وبريشة فنان، كل شخص فيها له دور مكمل للاخر ضمن نسيج الاستفهام ومن ثم النص.

ـ استثمرت الذاكرة مناهل الحذف لتاويل بعض المفردات الواردة في النص والتي كانت قد قدرت لما هو محذوف، فضلا عن ان اسهام ذلك في تحقيق الانتفاع في مناهل التاويل فكان المؤول فيه اشارة لكل شيء ممكن الحصول.

ـ يتفرد اسلوب الشرط في مناحي ربطه بين جملتين في تحقيق مراسم الذاكرة، فهو حادث في اوقات مضت، وسيكون له تبعات لذلك الحادث الماضي والفعل المستقبلي، فالذاكرة هنا في مدار خلخلة الزمن بين ماضي وحاضر تسهم في رسم المشهد بينهما، وتصويره تصويرا سينمائيا اخاذا ليكون حجة ويحقق قناعا للفعلين جميعا.

ـ اسهم المجاز في اتساع الافق لدلائل النصوص ونماء وديمومة التحولات التي رافقت النص، تحولات الذاكرة بين الماضي والحاضر الذي يتوارد فيه النص المقنع.

ـ تملك الكناية سبل الاقناع فتكون مع الذاكرة في لجة مليئة تتجاوز معنى النص الى ما هو ابعد منه فتترجم مشاهد حية وتحيلها الى مرئية او اجتماعية متفردة تتوافق فيها مع ملامح الذاكرة بمختلف انواعها باشارات سيميائية خلابة تصور النص في بؤرة حية فريدة.

ـ اسهمت الاستعارة بانواعها الواردة خاصة والتي تمازجت مع افانين الذاكرة على احكام العمل النصي فضلا عن اثرها المتوشب في اضفاء صورة الحياة على الشخوص ففيها تمازج في خلخلة الازمان وروابط الماضي بالحاضر والذاكرة فيها وكأنها ذاكرة مستقبلية لما هو حادث في زمان اخر خارجي عن نطاق زمان الدنيا، انه زمان في بعد اخر، زمان اخروي جديد، مرسوم ضمن اسس لا لبس فيها ولا خرم، انه الزمن السرمدي غير المنقطع والدائم في خلوده.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم .

الكتب المطبوعة .

(الألف)

- اتجاهات النقاد العرب في قراءة النص الشعري الحديث: سامي عبابنة، عالم الكتب الحديث، الأردن، ٢٠٠٤م.
- احكام القرآن: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م.
- الإحكام في أصول الأحكام: علي بن حزم الأندلسي، دار الحديث، ط١، ١٤٠٤هـ.
- ارشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول: علي بن محمد الشوكاني، تحقيق: احمد غزو عناية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٢م.
- الأزمنة والأمكنة: أبو على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- اساليب البيان في القرآن : السيد جعفر السيد باقر الحسيني، الطبعة الاولى. د.ت.
- أسرار البلاغة :عبد القاهر الجرجاني، ، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة.
- اسرار الذاكرة الإنسانية وإمكانات العقل البشري: د.عزيزة محمد السيد, دار النشر للجامعات مصر, ط١ , ٢٠١٤م.
- اشكالية القراءة واليات التأويل: نصر حامد ابو زيد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء/المغرب، ط٧، ٢٠٠٥م.

- اعلام الموقعين، ابن القيم، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ – ١٩٩١م.
- اوضح المسالك الفية ابن مالك، أبو محمد عبدالله جمال الدين بن يوسف ابن احمد عبد الله ابن هشام الأنصاري , ,تح : حنا الفاخوري , دار الجيل , بيروت , لبنان (د ط).
- الأطول في شرح تلخيص مفتاح العلوم، ابراهيم بن محمد العصام الاسفراييني، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ناصر مكارم الشيرازي, المكتبة النجفية،
- انوار التنزيل واسرار التأويل: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى – ١٤١٨ هـ،

(الباء)

- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: محمد باقر المجلسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٩٨٣م.
- بحر العلوم: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣م.
- البحر المحيط في التفسير: ابو حيان الاندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، الطبعة٣، ١٤٢٠ هـ
- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، منشورات الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة، ١٤١٩ هـ،

- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م.
- البديع في البديع: أبو العباس، عبد الله بن محمد المعتز بالله ابن المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد العباسي، دار الجيل، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.

(تاء)

- تاج اللغة وصحاح العربية: ابو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م
- التبيان في تفسير القرآن: محمد بن الحسن الطوسي، المكتبة العلمية، النجف، ٢٠١٦م، طبعة جديدة.
- التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي، تحقيق: عبد الله الخالدي, شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة الأولى – ١٤١٦ هـ.
- تفسير أبي السعود إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- تفسير التحرير والتنوير: محمد الطاهر عاشور، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.

- تفسير جوامع الجامع: الفضل بن الحسن الطبرسي ,تحقيق مؤسسة النشر الأسلامي، د.ت.
- تفسير الخازن :لباب التاويل في معاني التنزيل ، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن (ت ، ٧٢٥هـ ، شرحه وصححه : عبد السلام محمد علي شاهين ،دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، د.ط ، د.ت
- تفسير حدائق الروح و الريحان فى روابى علوم القرآن : محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م،
- تفسير روح البيان: إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، دار الفكر، بيروت.
- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن ملا علي خليفة القلموني الحسيني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م.
- تفسير القرآن العظيم: ابو القاسم سليمان الطبراني، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٨م.
- تفسير القرآن الكريم: ابو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق: محمد حسين شمس الدينؤ، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، الطبعة الأولى – ١٤١٩ هـ.
- التفسير القرآني للقرآن: عبد الكريم يونس الخطيب، دار الفكر العربي – القاهرة.
- التفسير الكاشف: محمد جواد مغنية، منشورات مكتبة الانوار، بيروت، ط٤، د.ت

- تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل أي القرآن) ابن جرير الطبري، دار الكتب العلمية, بيروت, ط١. ١٩٩١م.
- التفسير الكبير تفسير القرآن: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠ هـ،
- التفسير الميسر: نخبة من المفسرين، مطبعة الملك فهد، المملكة العربية السعودية، ط٢، ٢٠٠٩.
- التفسير الوسيط للقرآن الكريم: محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.
- التعريفات: الشريف الجرجاني، ضبطه وصححه جماعة من العلما، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م
- التعلم : سارنوف واخرون، تر: محمد عماد الدين اسماعيل. دار الشروق، القاهرة، ط٣، ١٩٨٩م.
- تنزيه القرآن عن المطاعن: عبد الجبار بن عبد الجبار المعتزلي، تحقيق: محمد خضر، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الاولى، ٢٠٠٨م.
- تنصيص الذاكرة: فاتن عبد الجبار، تموز للطباعة والنشر، دمشق، ط١، ٢٠١٢م.
- تهذيب اللغة: محمد بن احمد الهروي الازهري، المحقق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
- التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ–١٩٩٠م.

(الثاء)

- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن القرآن الكريم ، الخطابي ، الرماني ، وعبد القاهر الجرجاني تح :محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام ، دار المعارف – مصر، ط٣ ، ١٩٧٥م .

(الجيم)

- الجامع لاحكام القرآن: أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤ هـ – ١٩٦٤ م.
- الجدول في اعراب القرآن الكريم وصرفه وبيانه مع فوائد نحوية هامة ,محمود صافي , دار الرشيد، دمشق – مؤسسة الإيمان، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥ م.
- جمهرة اللغة: ابن دريد، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م.

(الحاء)

- حاشية الصاوى على تفسير الجلالين: شهاب الدين الصاوي، دار احياء التراث العربي، بيروت
- حاشية محيى الدين شيخ زاده على تفسير القاضى البيضاوي: محيي الدين شيخ زاده، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٨م.
- حقول علم النفس الفيزيولوجي اعلامه –ابحاثه : محمد زيعور . دار الفكر العربي . بيروت . ط١. ٢٠١٩م.
- الحواس الإنسانية في القرآن الكريم :تأليف الدكتور محمد طالب مدلول ,المدرس في الجامعة الإسلامية –بغداد ,دار الكتب العلمية ,لبنان ,٢٠٠٧م.

(الخاء)

- الخصائص ، ابن جني ، تح : محمد علي النجار ، دار الهدى ، بيروت ، ط٢ ، د . ت .

(الدال)

- درج الدرر فى تفسير القرآن العظيم: بد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني، تحقيق: طلعت صلاح الفرحان، محمد أديب شكور دار الفكر – عمان، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م.
- دلائل الاعجاز: عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.

(الذال)

- الذاكرة في الرواية العربية المعاصرة: جمال شحيد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ٢٠١١م.

(الراء)

- رحمة من الرحمن فى تفسير و اشارات القرآن :من كلام الشيخ محيي الدين ابن العربي الطائي الحاتمي،جمع وتحقيق:محمود الغراب، منشورات وزارة الاوقاف ،القاهرة ،د.ت
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني الألوسي ،تحقيق :علي عبدالباري عطية ،دار الكتب العلمية– بيروت ،الطبعه الأولى

(الزاي)

- زاد المسير في علم التفسير: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الأولى – ١٤٢٢ هـ.
- زبدة التفاسير بهامش مصحف المدينة النبوية: محمد سليمان الأشقر، دار السلام، السعودية، ٢٠٢١م.
- زهرة التفاسير: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة، دار الفكر العربي .

(السين)

- سايكولوجية العقل البشري: كامل محمد عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.
- سرور النفس بمدارك الحواس الخمس: أبو العباس أحمد بن يوسف التيفاشي، هذبهُ: محمد بن جلال الدين المكرم (ابن منظور)، تحقيق: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٠م، ط١.
- سيميائية الألوان في القرآن الكريم: كريم شلال الخفاجي ,دار المتقين للثقافة والعلوم والطباعة والنشر ,بيروت –لبنان ,ط ١ ,٢٠١٢م.

(الصاد)

- صفوة التفاسير: محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م
- الصناعتين : الكتابة والشعر، العسكري ابو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل تحقيق : على محمد البجاوي ومحمد ابو الفضل ابراهيم، بيروت المكتبة العصرية سنة ١٩٨٦م.

(العين)

- العباب الزاخر واللباب الفاخر: رضي الدين الحسن بن محمد العدوي الصغاني، الدار العربية للموسوعات، ٢٠١١م.
- عرائس البيان في حقائق القرآن: روزبهان بن أبي النصر البقلي الشيرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٨م.
- علم البيان :عبد العزيز عتيق ,دار النهضة العربية للطباعة والنشر , بيروت ,١٩٨٥م.
- علم النفس العام: ثائر غباري واخرون، مكتبة المجتمع العربي، عمان /الأردن، ط٣، ٢٠٠٨م.
- علم النفس المعرفي: رافع النصير الزغول وعماد عبد الرحيم الزغول، دار الشروق، القاهرة، ط١، ٢٠٠٣م.
- علم النفس المعرفي المعاصر: انور محمد الشرقاوي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط ٢، ٢٠٠٣م.
- علم النفس المعرفي النظرية والتطبيق: عدنان يوسف العتوم، دار المسيرة للطباعة والنشر، الأردن، ط٢، ٢٠١٧م.
- عمدة الحفاظ فى تفسير اشرف الالفاظ: السمين الحلبي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م،
- العمدة في محاسن الشعر و آدابه و نقده: أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، تحقيق .: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، الطبعة الخامسة، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م.
- عملية التذكر ومهارات تنشيط الذاكرة: د. دلال عوض, دار من المحيط إلى الخليج للنشر والتوزيع. المملكة العربية السعودية/ مكة. ,٢٠١٦م.

- العين: الخليل بن احمد الفراهيدي، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د.ت.

(الغين)

- الغيث المسجم في شرح لامية العجم : صلاح الدين خليل أبيك الصفدي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

(الطاء)

- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي، المكتبة العنصرية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ.

(الكاف)

- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التاويل: للعلامة جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري , تحقيق الشيخ عادل احمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض, ج ٣,ط١ ,مكتبة العبيكان –الرياض.
- الكشف والبيان :تفسير الثعالبي: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، تحقيق: أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٢، هـ – ٢٠٠٢ م
- الكليات: ابو البقاء الكفوي، تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت.

(الفاء)

- فتح البيان فى مقاصد القرآن: محمد صديق خان الحسيني البخاري، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م

- فتح القدير: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، الطبعة الأولى – ١٤١٤ هـ.
- في ظلال القرآن: سيد قطب، دار الاصول العلمية، طبعة شرعية.
- في النحو العربي نقد وتوجيه، مهدي المخزومي, دار الرائد العربي , بيروت لبنان , ط ٢ , ١٩٨٦م.

(اللام)

- لباب التأويل في معاني التنزيل: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ، .
- لسان العرب: ابن منظور، ، دار صادر، بيروت، ٢٠٠١م.
- لطائف إلاشارات: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، الطبعة الثالثة.

(الميم)

- مبادئ علم النفس العام: يوسف مراد، دار المعارف، القاهرة، ط١، ١٩٤٨م.
- مجمع البحرين: فخر الدين الطريحي، مؤسسة البعثة، قم المقدسة، ١٤١٤هـ، .
- مجمع البيان في تفسير القرآن: الفضل بن الحسن الطبرسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧
- المحكم والمحيط الأعظم: ابن سيده، المحقق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م
- مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ابو البركات النسفي، تحقيق: يوسف علي بديوي، مراجعة: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، ١٩٩٨م

- مدخل إلى علم اللغة الحديث: قسطندي شوملي، جمعية الدراسات العربية، القدس، ١٩٨٦م.
- معاني القرآن: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، الطبعة الأولى،
- معاني القرآن وإعرابه: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م.
- معالم التنزيل في تفسير القرآن: الحسين بن مسعود البغوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ.
- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: أحمد مطلوب أحمد الناصري الصيادي الرفاعي الناشر: مكتبة لبنان ناشرون.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : محمد فؤاد عبد الباقي ,دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع , بيروت
- معجم مقاييس اللغة: احمد ابن فارس ابن زكريا، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
- المعجم الوسيط , مجمع اللغة , مكتبة الشروق الدولية، جمهورية مصر العربية ,١٤٢٥ –٢٠٠٤م.
- مفردات ألفاظ القرآن: الراغب الاصفهاني، دار القلم، بيروت، ٢٠٠٩م.
- المقتضب، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالى الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب. – بيروت.

- من تجليات الذاكرة دراسات في نصوص عراقية: نادية غازي العزاوي، دار الشؤون الثقافية العامية، بغداد، ط١، ٢٠٠٥م.
- من هدى القرآن: السيد محمد تقي المدرسي، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٨م.
- من وحى القرآن: محمد حسين فضل الله، دار الملاك، بيروت، الطبعة الثالثة، ٢٠١٨م
- الموسوعة الفلسفية: وضع لجنة من العلماء والاكاديميين السوفياتيين بأشراف م . روزنتال، ب.يودين . تر: سمير كرم، دار الطليعة، بيروت، ط٣، ١٩٨١م.
- الميزان في تفسير القرآن: محمد حسين الطباطبائي، دار الاعلمي، بيروت، ٢٠١٠م.
- الميسر في البلاغة العربية : إبن عبدالله أحمد شعيب, دار ابن حزم , بيروت ,٢٠٠٨م.

(النون)

- نظرية الركائز الاربعة للبناء النفسي فهم سلوك الانسان في ظلال الفرقان: حمدي علي الفرماوي ..دار الصفاء، ط١ . ٢٠٠٩م.
- نظم الدرر في تناسب الآيات و السور: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
- النكت في اعجاز القرآن: علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرماني، تحقيق: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام، ، دار المعارف بمصر، الطبعة الثالثة، ١٩٧٦م.
- النكت في القرآن الكريم في معاني القرآن الكريم و اعرابه: علي بن فَضَّال بن علي بن غالب المُجَاشِعِي القيرواني، أبو الحسن، دراسة وتحقيق: د. عبد الله

عبد القادر الطويل، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧م.

- النكت والعيون: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان.

(الهاء)

الهوية والذاكرة الجمعية اعادة انتاج الادب العربي قبل الاسلام أيام العرب أنموذجاً: عبد الستار جبر، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط١، ، ٢٠١٩م.

ثالثا : الرسائل والاطاريح :

- اسلوب النهي في القرآن دراسة في التركيب والدلالة: محمد احمد الاشقر، اطروحة دكتوراه، الجامعة الأردنية، ٢٠١٧م
- بنية الخطاب السردي في سورة يوسف دراسة سيميائية: د.دفة بلقاسم، قسم الأدب العربي كلية الآداب والإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر بسكرة.
- الذاكرة البصرية لدى المعوقين سمعياً والعاديين: ابراهيم شيخ مطر, رسالة ماجستير, كلية التربية, جامعة دمشق, ٢٠١٦م.
- دلالات الحذف في القرآن الكريم من خلال كتاب تيسير التفسير: عبد العزيز غزالي، عبد المجيد شاري، رسالة ماجستير، جامعة ادرار، الجزائر، ٢٠١٦–٢٠١٧م.
- سورة البقرة دراسة أسلوبية بلاغية. صدقية عوض الطراونة، جامعة مؤته،٢٠١٠

- فعالية برنامج تدريبي قائم على الذاكرة العاملة في تنمية مهارات الاداء والفهم القرائي لدى تلاميذ ذوي صعوبات تعلم القراءة: سهيلة وصيف خالد، اطروحة دكتوراه، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، ٢٠١٨-٢٠١٩م.

رابعا : المجلات والبحوث

- علم النفس المعرفي: د. خديجة حيدر نوري، محاضرات معدة لطلبة المرحلة الرابعة، قسم علم النفس،الجامعة المستنصرية_ كلية علم النفس

Conclusion:

Praise be to God, Lord of the Worlds, who revealed the Book as a guidance and a reminder for those of understanding, and may blessings and peace be upon our Prophet Muhammad, whom God Almighty has designated for the completeness of words and the details of discourse, and upon his family and peace. And after: Memory is a living history that resides in the corridors of the human soul, providing it with good things that facilitate the path to improving its present and coming future. Man is a creature in his nature who longs for a past in which he repeats what was recorded on a present newspaper, and we will try to study all of that with the research tagged (Memory in the Holy Qur'an, a analytical study). According to the requirements of the topic, it included an introduction and three chapters. The introduction concerned itself with revealing the components of the title, and then studying semiotics, its nature, its cognitive impact on the global knowledge system, and how it seeps into Arabic language and criticism. The first chapter was designed to study the types of memory, and the second chapter dealt with the compositional methods and an explanation of their combination with memory to achieve the

intended purpose of its arrival. As for the third chapter, it was concerned with studying the graphic methods and trying to explain the meanings and the meaning of the meaning achieved by these elements. Then a conclusion in which we explain the most important results that we obtained during the research, then a list of the sources and references that were used in the research.

The Republic of Iraq

Ministry of Higher Education and Scientific Research

University of Karbala / College of Islamic Sciences the department of Arabic language

Memory in the Holy Qur'an, a analytical study

A letter submitted to the Council of the College of Islamic Sciences / University of Karbala

It is part of the requirements for obtaining a master's degree in Arabic Language/Qur'an Language and Literature

Written by:

Haneen Flayh Gareeh Maged

Under supervision

Prof. Dr. Muslim Malik Al-Asadi

Shawwal -١٤٤٥هـ April - ٢٠٢٤م